لغز الموسيقار الصغير



محمود سالم

لغز الموسيقار الصغير

تأليف
محمود سالم



لغز الموسيقار الصغير

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٩٣ ٣

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

المفتش في أزمة	٧
الموسيقار الصغير	١٣
الأذن الحساسة	١٩
عقبات في الطريق	٢٥
أذن الموسيقار	٣١
مصدر الصوت	٣٧
منتهى الخطر	٤٣
هروب في الظلام	٤٩

المفتش في أزمة

قال المفتش «سامي» وهو يمدُّ ساقَيه على العشب الأخضر في حديقة «عاطف»:

أعترف لكم بأنني في أزمة حقيقية ... فهذه أول مرة أفقد فيها أعصابي ... برغم أن عملي كضابط شرطة يحتِّم عليَّ أن أحتفظ بأعصاب هادئة ... ولكن موقف هؤلاء الناس أثارني جدًّا!

سألت نوسة: تقصد «مجدي» وأسرته؟

المفتش: نعم ... إنهم لا يريدون التعاون معنا ... وبغيرهم لا يمكن أن نجد أثرًا لهذه العصابة الجريئة.

محب: ولكن ألا تُقدِّر موقفهم يا حضرة المفتش ... لقد خطفت العصابة ابنهم «مجدي» في الشهر الماضي ... وهو وحيد والديه ... وقد هددتهم العصابة بخطف «مجدي» مرة أخرى لو تكلم أو أدلى بأي معلومات قد ترشد رجال الشرطة عنهم ...

المفتش: ولكنني وعدتُ بحمايتهم.

عاطف: إنَّنا جميعًا في حماية الشرطة ... ولكن هذا لا يَمنع اللصوص والمجرمين من ارتكاب الجرائم ... إن الشرطة لا تستطيع أن تراقب كل بيت وكل فرد ... وإلا احتجْنا إلى شرطي لكل إنسان ... وثلاثة لكلِّ بيت، أي أن يصبح رجال الشرطة أضعاف عدد سكان مصر!

مدَّ «تختخ» يده بكوب الليمون البارد إلى المفتش قائلًا: لعل أعصابك تهدأ بعد أن تشرب كوب الليمون هذا!

ابتسم المفتش قائلًا: ولا حتى برميل من «الليمونادة» يُمكن أن يُهدِّئ أعصابي ... فهناك طفل آخر مخطوف ... والوزارة مقلوبة من أجله ... فهذا ثاني حادث اختطاف في شهرَين ... ومن الواضح أنها العصابة نفسها ... لقد استطاعت أن تَخطف «مجدي»

في الشهر الماضي ... وتأخذ الفدية الضخمة بدون أن نعلم ... وها هي ذي تُكرِّر العملية بالنجاح نفسه ... بدون أن تترك أثرًا واحدًا يدل عليها.

في هذه اللحظة وصلت «لوزة» فأسرعت تُحيِّي المفتِّش الذي استقبلها في حب ظاهر قائلًا: هذه هي المغامرة الصغيرة التي ستحل اللغز!

صفَّقت «لوزة» بيديها قائلة: أهناك حقًّا لغز؟ وأنا التي أحله ... الحقوني بهذا اللغز ... سأُجنُّ من الكسل والفراغ!

وضع «عاطف» يده في جيبه ثم أخرجها، ومدها إلى «لوزة»، خذي اللغز ... وهيا حلِّيه.

لم تَبتسِم «لوزة» بل قالت في سخرية: ضع لغزك في جيبك ... وحاول أن تحلَّه بأصابعك، ثم التفتت إلى المفتش قائلة: ما هو اللغز يا حضرة المفتش؟

قال المفتش: لقد رويت القصة كلها للأصدقاء ... وعليهم أن يحكوها لك ... أما أنا فسوف أنصرف الآن ...

ثم نظر إلى ساعته وهبَّ واقفًا قائلًا: لقد تأخَّرت؛ فعندي اجتماع في مديرية الأمن ... ولا بد أن أنصرف فورًا!

ودَّع الأصدقاء المفتِّش حتى سيارته، ثم عادوا إلى الحديقة. وكانت «لوزة» مشتاقة إلى سماع حكاية اللغز من الأصدقاء، فسألت «تختخ» أن يرويها لها، فقال سأترك «نوسة» تروي لك ما سمعناه ... فهذا الحَر اللعين يجعلني عاجزًا عن التفكير أو الكلام.

قالت «نوسة»: لقد ... حكى لنا المفتش قصة خطف عجيبة تمت في الشهر الماضي ... ثم تكرَّرت منذ أسبوع ... بدون أن يتمكن رجال الشرطة في المرتين من القبض على العصابة ... بل لم يتمكنوا من العثور على أثر واحد يهدي إليها.

لوزة: مُدهِش جدًّا ... وكيف تمَّت عملية الخطف الأولى؟

نوسة: ببساطة جدًّا ... هناك ولد يُدعى «مجدي» يحب الموسيقى حبًّا جمًّا ... وذات يوم خرج من المدرسة في طريقه إلى بيته، فوجد رجلًا معه «هارمونيكا» أثارت إعجابه ولاحظ الرجل ذلك الإعجاب فعرض عليه أن يشتريها! ولم يتردَّد «مجدي»، وقال إنه على استعداد لشرائها، فطلب منه الرجل أن يذهب معه إلى صاحبها الذي يريد بيعها، ليشتريها منه، ولما قال له «مجدي» إنه لا يحمل ما يكفي من النقود، أفهمه الرجل أن صاحبها لن يطلب كثيرًا.

وسكتت «نوسة» لحظات، ثم قالت: وذهب «مجدي» مع الرجل ... وبعدها اختفى تمامًا ... واتصلت العصابة التي اختطفته بأسرته، وطلبت مبلغ خمسة آلاف جنيه فديةً

له حتى تطلق سراحه، على شرط ألا تبلغ الشرطة، وإلا فإن «مجدي» لن يعود حيًّا إلى أسرته …

ووافقت الأسرة ولم تبلغ الشرطة، ودفعت خمسة آلاف جنيه، كما طلبت العصابة، وعاد «مجدي» … وبدأ يروي لبعض أصدقائه ما حدث له …

ووصلت هذه المعلومات إلى الشرطة، فذهب أحد الضباط إلى أسرة «مجدي» ليعرف مزيدًا من التفاصيل التي قد تؤدي إلى القبض على العصابة … ولكن العصابة كانت قد سبقته، وحذرت أسرته من الحديث إلى رجال الشرطة … وإلا خطف «مجدي» مرة أخرى.

محب: لا تنسَي أن تقولي إنه في هذه الفترة لم يكن يسكن في المعادي … بل كان يسكن في حي الدقي!

لوزة: وهل يسكن في المعادي الآن؟

محب: نعم … وهذا سبب وجود المفتش «سامي» في المعادي!

لوزة: ثم ماذا؟

نوسة: ولم يستطع رجال الشرطة الحصول على المعلومات من «مجدي» وبخاصة أن العصابة بعد أن اختطفته عصبت عينَيه، فلم يرَ شيئًا مطلقًا طول المدة التي بقي فيها مع العصابة، حتى أعادته إلى أسرته.

ومضتْ «نوسة» تقول: وفي الأسبوع الماضي قامت العصابة بخَطفِ طفلٍ آخر بالطريقة نفسِها … ولكنَّ الطفل في هذه المرة، واسمه «عصام»، لم يكن مثل «مجدي» يُحبُّ «الهارمونيكا»، بل كان يحبُّ الكلاب … وقد استطاع أحد أفراد العصابة أن يُغريَه هو الآخر بالذهاب معه ليشتري كلبًا جميلًا صغيرًا من مكان قريب … وبعدها اختفى «عصام»، ولم يظهر حتى الآن … وأسرعت أسرته بالاتصال بالشرطة … ولكن رجال الشرطة لم يستطيعوا حتى الآن أن يحصلوا على معلومات إلا من أحد أصدقاء «عصام» الذي شاهد رجل العصابة وهو يُغري «عصام» بالذهاب معه لشراء الكلب … ولما كانت طريقة العصابة واحدة في إغراء الأولاد، فقد أدرك المفتش «سامي» أن العصابة التي خطفت «عصام» هي العصابة نفسها التي خطفت «مجدي» … وجاء للحصول على معلومات عن العصابة، ولكن أسرة «مجدي» رفضت الكلام، وقال «مجدي» إنه لم يرَ شيئًا، لأن العصابة عصبت عينيه … ولم يفتحهما إلا عندما عاد إلى أسرته.

لوزة: وهل يُقيم «عصام» في المعادي؟

نوسة: نعم … كما يُقيم فيها «مجدي» حاليًّا!

لوزة: وهل حصلتم على عنوان «عصام»؟

نوسة: نعم، وعنوان «مجدي» أيضًا؛ فقد أعطانا إياهما المفتِّش «سامي».

لوزة: المهمَّة سهلة إذن … ما علينا إلا الاتصال «بمجدي» والحصول منه على المعلومات اللازمة عن العصابة … ثم ندخل المغامرة.

عاطف: هكذا ببساطة؟! يبدو أنك تتصوَّرين الألغاز نوعًا من الشيكولاتة تُشترى من أقرب محل … ألم تسمعي أن المفتش «سامي» نفسه لم يتمكن من الحصول على أية معلومات؟

محب: وهناك ما هو أهم من هذا … أن «مجدي» كان مُعصَّب العينين فلم يرَ شيئًا مطلقًا!

تختخ: لا تنسَ أنه يحب الموسيقى، ويعزف على الهارمونيكا، وهواة الموسيقى عادة تكون آذانهم مرهَفة!

عاطف: أفهم ما تعني … هل تقصد أنه كان يرى بأذنيه؟

تختخ: إنك بالطبع تسخر، ولكن إذا استخدم الإنسان أذنيه جيدًا، فإنه يستطيع أن يعوض كثيرًا من عدم الرؤية عن طريق أذنيه المرهفتَين، والدليل على ذلك أن الأعمى يستطيع معرفة أشياء كثيرة بواسطة أذنيه قد لا يدركها المبصر.

عاطف: وماذا نستطيع أن نعلمه عن طريق أذنَي «مجدي» هذا؟

تختخ: أشياء كثيرة لا تتصوَّرها … ولكن المُهم كيف نقنعه بالكلام، وأسرته تمنعه من محادثة أي إنسان خوفًا من العصابة وانتقامها!

نوسة: ما هو عمر «مجدي» هذا؟

تختخ: في التاسعة على ما أظن!

نوسة: أي إنه في عمر «لوزة» تقريبًا.

تختخ: تقريبًا.

نوسة: إنني أقترح أن تحاول «لوزة» مصاحبته، فإذا اطمأنَّ إليها أمكن أن يتحدث معها عما جرى له.

تختخ: هذا كلام معقول جدًّا. وأقترح على «لوزة» أن تبدأ فورًا في التدريب على عزف «الهارمونيكا»، فهي وسيلة مُمتازة للتعرف على «مجدي»؛ لأنه من هواتها!

محب: عندي واحدة! … كان عمي قد أهداها إليَّ، ولم أستعملها مطلقًا.

تختخ: عظيم، عليك بإحضارها الآن فورًا!

وأسرع «محب» يقفز إلى دراجته، وانطلق إلى منزله، وبعد دقائق قليلة عاد ومعه صندوق صغير من الورق مستطيل الشكل، ففتحه ثم أخرج منه «هارمونيكا» جميلة، جديدة مدَّ يده بها إلى «لوزة» قائلًا:

هذه هي، حاولي أن تحلي اللغز بها.

وأمسكت «لوزة» «بالهارمونيكا» ثم وضعتها على فمها وبدأت تصدر أصواتًا جعلت «عاطف» يصرخ وهو يضع يديه على أذنيه: أرجوك ... لا تُعذِّبيني! ولكن «لوزة» لم تهتمَّ به واستمرت تحاول ... في حين انهمك بقية الأصدقاء في الحديث، فقال «تختخ»: إن علينا أن نضع خطة محكمة حتى تتمكن بها «لوزة» من مقابلة «مجدي» والحديث معه ... فما هي أفكاركم؟

سكت الأصدقاء يفكرون، ثم قالت «نوسة» بعد فترة: أقترح أن نذهب أولًا لنرى المنزل الذي يسكن فيه «مجدي» ونسأل كيف يعيش؟ وكيف يلعب؟ حتى نتمكن من توفير المعلومات اللازمة لوضع خطة مناسبة.

تختخ: هذا كلام معقول جدًّا، ولكن مَن الذي يذهب؟ إنني مشغول في المنزل مع بعض الضيوف على الغداء.

محب: أذهب أنا و«عاطف» ... ونلتقي مساءً.

تختخ: اتفقنا!

وبعد لحظات كان «محب» و«عاطف» كلٌّ على دراجته ينطلقان إلى منزل «مجدي» بعد أن حفظا عنوانه.

الموسيقار الصغير

استطاع «محب» و«عاطف» أن يحصلا على كل المعلومات المطلوبة عن «مجدي»، بعد أن سألا الجيران والمكوجي وغيرهم. وقد عرفا أن «مجدي» وحيد والدَيه. ووالده تاجر غني، يملك فيلا كبيرة تتوسط حديقة واسعة. وينزل «مجدي» عادة إلى الحديقة في التاسعة صباحًا، قبل أن ترتفع الشمس، حيث يتمشى ويلعب، ويعزف «الهارمونيكا» ومعه حارس يمشي قريبًا منه خوفًا من تكرار اختطافه. ثم يصعد بعد ذلك للغداء، وفي المساء يتلقى دروسًا في عزف البيانو.

وكانت خطة الأصدقاء التي وضعوها لتنفذها «لوزة» بسيطة جدًّا ... تذهب «لوزة» ومعها آلة «الهارمونيكا». وتدور حول السور، وهي تعزف في محاولة للفتِ نظر «مجدي» فإذا التفت إليها تحدثت معه، وإذا أخفقَت هذه الخطة ولم تَلفِت نظر «مجدي»، فعليها أن تستمع إليه وهو يعزف، ثم تُحاول الحديث معه عن الموسيقى.

حملت «لوزة» آلة «الهارمونيكا» الصغيرة، وانطلقت في الصباح الباكر، وهي تحلم بالمغامرة المقبلة ... ماذا يحدث؟ هل يتحدث معها «مجدي» أو يرفض الحديث؟ هل يتعرض لها الحارس أو يتركها تدخل الحديقة؟!

وبعد حوالي ربع ساعة وصلت إلى العنوان، ورأت الحديقة الواسعة والفيلا الكبيرة ... وكان البستاني يروي الورد والأزهار قبل أن ترتفع الشمس ... ولم يكن في الحديقة معه إلا ثلاثة كلاب ضخمة كانت تلهو معًا ... ودارت «لوزة» حول سور الحديقة تبحث عن مكان قريب تستطيع منه مشاهدة «مجدي» عندما ينزل ... ووجدت مكانًا مكشوفًا في السور لا تخفيه الأشجار الضخمة ... وهو قريب في الوقت نفسه من باب الفيلا، ووقفت بجواره ترقب الفيلا، ورأسها يموج بالأفكار.

وبعد فترة سمعت «لوزة» موسيقى جميلة تنبعث من الفيلا ... ثم رأت ولدًا صغيرًا ضئيل الحجم يمشي في هدوء نازلًا السلم وفي يده آلة «هارمونيكا» قد وضعها على فمه وأخذ يعزف ... كان عزفًا رائعًا، وموسيقى رقيقة مرحة خُيِّل إلى «لوزة» أنها لم تسمع مثلها في حياتها.

وخلف الولد الذي لا شك أنه «مجدي» — كما فكرت «لوزة» — ظهر حارس ضخم، يُمسك بيده عصًا قصيرة ... وكان يتبع «مجدي» كظله ... ولم تكد الكلاب ترى الولد الصغير حتى تركت لعبها، وجرت ناحيته وهي تنبح في سعادة ... وسارت خلفه وكأنها مستسلمة لسماع موسيقاه الجميلة.

ظلت «لوزة» تتأمَّل الولد ... وقد أحسَّت بنوع من الإعجاب القوي به ... فقد كان جميلًا ورقيقًا ... له جبهة عالية، وقد تهدَّل عليها شعره الأسود الفاحم ... وكان يتنقَّل بين أحواض الزهر والورد وكأنه طيف ... وظل يعزف موسيقاه، وبدا «للوزة» كأن كل ما في الحديقة يرقص على الموسيقى.

وأفاقت «لوزة» من أثر السحر الذي سيطر عليها، وتذكَّرت أنها جاءت لمهمة محددة ... هي أن تحصل من هذا الولد على المعلومات التي تؤدِّي إلى حلِّ لغز عصابة اختطاف الأطفال ... فانتظرت حتى جلس الولد قريبًا منها، وانقطع عن العزف، وأخذ يَمسح «الهارمونيكا» بمنديل أبيض ... وكانت هذه فرصة «لوزة»، فوضعت آلتها على فمها وبدأت تعزف.

كان عزفًا رديئًا لا يزيد على مجموعة من الأصوات المتنافرة وبخاصة بعد الموسيقى السماوية الرقيقة التي كان يعزفها «مجدي» الذي استدار عندما سمع صوت العزف، وأخذ يبحث بعينَيه عن مصدر الموسيقى ... وسرعان ما رأى «لوزة» وهي تقف بجوار السور مُتظاهِرة بأنها تسير ولا تراه ...

ظلَّت «لوزة» تعزف ... وركزت انتباهها في العزف ... فلم ترَ الحارس الضخم وهو يفتح الباب ثم ينطلق إليها كالصقر ... وفجأةً أحسَّت بيدٍ تُوضَع على كتفها في قسوة، وعندما التفتت إليه فوجئت بمظهره الشرس، فانزعجت ... ولكنها تمالكت أعصابها وقالت له في ضيق: لماذا تُمسك بي، ارفع يدك عني!

قال الرجل في صوت خشن: ماذا تفعلين هنا؟ ومَن الذي أرسلك؟

ردت «لوزة»: ومن أنت حتى تسألني؟ أأنت صاحب الشارع؟ ومن هؤلاء الذين تسأل عنهم؟ ... إنني هنا لأنني أحب أن أكون هنا، فلم يرسلني أحد.

الرجل: إنك تكذبين!

لوزة: أكذب! لماذا أكذب؟ وهل وجودي هنا يستدعي أن أكذب ... ارفع يدك وإلا! ...

ولم تكمل جملتها ... فقد ظهر «مجدي» في هذه اللحظة، وأسرع نحوهما متسائلًا: ماذا حدث يا «مهران»؟

رد الرجل في احترام: هذه الفتاة!

مجدي: ما لها؟

مهران: إنها ... إنها تسير بجوار الحديقة، وتعزف على «الهارمونيكا»!

مجدي: وماذا في ذلك؟! أليس من حقها أن تسير حيث تشاء، وتعزف الموسيقى كما تحب؟

مهران: ولكن يا أستاذ «مجدي» ... أنت تعرف أن ...

وقبل أن يتم جملته قال «مجدي»: لا داعي لهذه الشكوك في فتاة رقيقة تعزف الموسيقى، وإن كنت أعترض على شيء واحد ... وسكت وهو يبتسم ثم قال: إنها للأسف تعزف بطريقة رديئة!

قالت «لوزة»: آسفة ... لقد استمعت إليك، وكان يجب ألا أعزف بعدك.

مجدي: لا، أبدًا ... إنني عندما بدأت العزف كنت مثلك ... ولكن كل شيء يأتي بالمران ... ما دمت تهوين الموسيقى وتحبينها.

تدخَّل «مهران» في الحديث قائلًا: هيا ندخل يا أستاذ «مجدي»، فتعليمات والدك ألا تخرج من سور الحديقة.

رد «مجدي» في ضيق: إنني ضقت بهذا السجن ... لا أخرج منه ولا أقابل أحدًا ... ولا أتحدث إلى مخلوق ... هذا غير معقول!

مهران: ولكن هذه تعليمات والدك!

سكت «مجدي» ثم قال: سندخل، ولكن على أن تدخل معنا هذه الفتاة ... إنني أحب أن أتحدث معها قليلًا عن الموسيقى!

مهران: ولكن!

مجدي: سأقول لوالدي إنني الذي دعوتها، فلا تخشَ شيئًا.

ودخل الثلاثة الحديقة، فجلست «لوزة» و«مجدي» على أحد المقاعد، وسرعان ما اتجهت الكلاب إليهما مزمجرة، ولكن كلمات قليلة من «مجدي» هدَّأت ثائرتها، في حين جلس «مهران» بعيدًا يرقبهما بعين لا تطرف.

قال «مجدي»: هل تعزفين «الهارمونيكا» منذ وقت طويل؟

لوزة: أبدًا ... لقد بدأتُ أمس فقط!

ابتسم «مجدي» وهو يقول: هذا هو السبب … إنك مُحتاجة إلى فترة طويلة حتى تجيدي العزف!

لوزة: إنني محتاجة إلى مَن يعلمني!

مجدي: وأنا على استعداد لتعليمك … وإن كنتُ لستُ أستاذًا ولكني سأعلمك ما أعرفه … المهم أن تتمرني كثيرًا … وقبل كل شيء لا بد أن تتعلَّمي السلم الموسيقي!

لوزة: السلم الموسيقي! … ما هو هذا السلم؟

ابتسم «مجدي» ثم قال: من الصعب أن أشرحه لكِ الآن … المهم أن أتعرَّف عليك.

لوزة: اسمي «لوزة» … والدي يعمل مهندسًا … ولي شقيق يُدعى «عاطف» … ونحن معًا ومعنا ثلاثة أصدقاء آخرون نُسمِّي أنفسنا «المغامرين الخمسة»، لأننا نحب المغامرات، وقد اشتركنا في عدد كبير منها.

لمعت عينا «مجدي» ثم قال: ومَن هم الثلاثة الباقون؟

لوزة: «تختخ» وهو رئيس المجموعة، و«محب» وأخته «نوسة».

مجدي: إن هذا شيء مُثير جدًّا … وهل جئت هنا بالمصادفة أم بسبب آخر؟!

لوزة: أعترف لك أنني جئت لأتعرَّف بك، فإننا نريد أن نتحدث معك!

مجدي: عن أي شيء؟

لوزة: ألا تعرف؟

مجدي: أعرف طبعًا … وما دمت تُعرفين حكايتي، فلا بد أنك تعرفين أن أبي منعني من التحدث مع أي غريب، وبخاصة عن هذه الحكاية.

لوزة: ولكنَّ هناك شيئًا مهمًّا … إنَّ هناك طفلًا مخطوفًا يُدعى «عصام»، ولا أحد يعرف له طريقًا، وقد تؤدي المعلومات التي نحصل عليها منك أن نعيد «عصام» إلى أسرته سالمًا!

فكر «مجدي» فترة ثم قال: إنني لا أستطيع مخالفة تعليمات أبي، ولكني سأستأذن منه أن تحضري لزيارتي لنعزف الموسيقى معًا … ولأعلمك كيفية استخدام «الهارمونيكا»، وفي هذه اللقاءات قد نستطيع أن نتحدث عن الحكاية التي جئت من أجلها. برغم تعليمات والدي الذي يخاف عليَّ من العصابة، ولكني أرى أنه من واجبي الآن أن أتكلم لأن مصير ولد آخر معلق!

لوزة: اتفقنا … ومتى أعود لك مرة أخرى؟

مجدي: غدًا في الموعد نفسه … ومعك «الهارمونيكا»، وعندما تعزفين بجوار السور سوف أعرف أنك حضرت وأخرج لك.

قالت «لوزة» وقلبها يرقص طربًا لتوفيقها في المهمة: إنني أرجو قبل أن أنصرف أن تعزف لي قطعة من الموسيقى بطريقتك البارعة، إنها تؤثر فيَّ جدًّا.

لم يتردد «مجدي» فقد وضع «الهارمونيكا» على فمه ... ثم فكر قليلًا، وكأنه يختار لحنًا معينًا، ثم بدأ يعزف ... كانت قطعة الموسيقى التي يعزفها لحنًا راقصًا سمعته «لوزة» من قبل من الراديو ... ولكنه مع العازف الماهر الصغير بدا لها أشد روعة ... وأكثر جمالًا مما سمعته.

كان يعزف بمهارة، ووجهه يحمرُّ من أثر المجهود، وأحست «لوزة» أنها لم تكن سعيدة في أي وقت أكثر من هذه اللحظة ... وأدركت أنها تحب الموسيقى فعلًا ... ويجب أن تتعلم العزف.

أسرع اللحن ... ووضح أن «مجدي» سوف يختم عزفه، وفعلًا بعد ثوان قليلة انتهى العزف ... ونظر إليها «مجدي» وكأنه يسألها رأيها، فأحنت «لوزة» رأسها بإعجاب ... ثم سلمت عليه بحرارة وانطلقت عائدة إلى المنزل دون أن تنطق بكلمة واحدة.

كان الأصدقاء جميعًا في انتظارها ... فأسرعت إليهم وهي تُردِّد اللحن بصوتها ... وأخذوا جميعًا ينظرون إليها في دهشة ... ولكنها استمرت تُردِّد اللحن حتى جلست، فقال «عاطف»: إنها بلعت محطة موسيقى!

لم تلتفت «لوزة» إلى سخريته، بل استمرت تكمل اللحن حتى انتهت منه.

فسألها «عاطف»: هل هذه هي المعلومات التي حصلتِ عليها؟

لوزة: بالضبط!

محب: ألم تَعرفي شيئًا آخر؟

لوزة: مطلقًا!

نوسة: هل أفهم أنكِ ذهبت من أجل هذا اللحن فقط؟

لوزة: وهل هناك أهمُّ من الموسيقى؟

تختخ: الموسيقى هامة فعلًا ... ولكن الأهم الآن هو اللغز ... هل روى لكِ «مجدي» ما حدث؟

لوزة: لم يقل لي كلمة واحدة عن اختطافه ... بل إنه لم يُشِر إلى هذه الحادثة مطلقًا ... ولكنه غدًا سوف يتحدث. لقد اتفقنا.

واستمع الأصدقاء إلى تقرير «لوزة» عن مهمتها ... واتفقوا على أن يلتقوا مرة أخرى في اليوم التالي ليستمعوا إلى ما ستحصل عليه من معلومات.

الأذن الحساسة

عندما وصلت «لوزة» في اليوم التالي إلى فيلا «مجدي»، كان الموسيقار الصغير في انتظارها، وقد أعدَّ في الحديقة مائدة صغيرة عليها عصير الليمون المثلج وكمية من الشيكولاتة والحلويات.

كان «مجدي» مَرِحًا في ذلك اليوم، وقد استقبل «لوزة» بترحاب كبير، ثم قال: هل تُصدِّقين أنك أول إنسان من غير أفراد أسرتي أكلمه منذ أكثر من شهر؟! لقد حرَّم عليَّ والدي أن أتحدث إلى أحد ... وهذا الحارس يسير معي كظلي منذ ذلك الحادث.

لوزة: حادث الاختطاف؟

مجدي: نعم ... حادث الاختطاف. ولكني سأتكلم الآن لأنقذ الولد المخطوف!

لوزة: إنني وأصدقائي مُهتمُّون جدًّا بالحصول على معلومات منك ... فقد أخفقت جهود رجال الشرطة في الوصول إلى مكانه ... ونحن نعتقد أنك إذا قلت لنا معلوماتك عن حادث اختطافك فقد يمكننا إنقاذ «عصام».

ابتسم «مجدي» وقال: وهل تظنون أنكم أبرع من رجال الشرطة؟

لوزة: إننا لا نزعم ذلك ... لكننا نحب هذا العمل، ونساعد رجال الشرطة بقدر ما تسمح به مجهوداتنا!

مجدي: صدقي أن كل المعلومات التي سأرويها لك لم أرها بعيني ... فقد كنت كما تعلمين معصب العينين، فقد وضع رجال العصابة رباطًا على عيني طوال فترة وجودي معهم.

لوزة: أرجو أن تقول لي كل شيء من البداية ... إن أصدقائي الأربعة في انتظار هذه المعلومات ... ونحن نهتم بكل صغيرة وكبيرة ... وما يبدو لك تافهًا قد يكون هو الطريق إلى حل لغز هذه العصابة والوصول إليها.

مجدي: تفضلي بأكل بعض الحلوى واشربي الليمون، وسوف أركز تفكيري لأتذكر ما حدث … وما سمعت.

ومكث «مجدي» لحظات، وأغمض عينيه، كأنه يُحاول استرجاع كل ما حدث في ذهنه قبل أن يتحدث … في حين بدأت «لوزة» تلتهم قطعة حلوى مع رشفة من كوب الليمون ثم بدأ «مجدي» روايته قائلًا:

أعتقد أن العصابة كانت قد جمعت معلومات كثيرة عنِّي … فقد عرفوا مثلًا أنني أهوى الموسيقى، وأحب العزف على «الهارمونيكا»، وعرفوا أن والدي غني … وأنه سيدفع الفدية ولا يخبر رجال الشرطة … فأنا ولده الوحيد … ولا شك أنه كان على استعداد لدفع أيِّ مبلغ من أجل إنقاذي.

وسكت «مجدي» لحظات، ثم مضى يقول: إنَّ العصابة نجحت في كل شيء عدا شيء واحد!

لوزة: وما هو؟

مجدي: لقد نسُوا أنني موسيقي … وأن الموسيقي يستطيع أن يسمع بأذنيه أكثر من أي إنسان آخر … إنني أستطيع أن أقول إنني أرى بأذني.

لوزة: مدهش جدًّا!

مجدي: وهكذا تمكنت من معرفة أصوات رجال العصابة … وأستطيع أن أميزها من بين عشرات الأصوات …

لوزة: هل نقلوك إلى خارج القاهرة؟

مجدي: نعم … ولكي تستمعي إلى القصة من بدايتها سأقول لكِ ما حدث منذ خرجت من المدرسة، حتى عودتي إلى البيت!

واستعدَّت «لوزة» للإنصات بكل اهتمام، وبدأ «مجدي» يروي حكايته: في ذلك اليوم ذهبت إلى المدرسة كالمعتاد، ومعي «الهارمونيكا» … فإنني لا أستطيع مفارقتها … وعندما خرجت من المدرسة سمعت شخصًا يعزف «الهارمونيكا» فلفت انتباهي فورًا … ووجدت نفسي أتجه إليه … كان رجلًا نحيفًا طويلًا يلبس نظارة سوداء، ووقفت قريبًا منه أستمع إلى عزفه … ولاحظ هو اهتمامي فعرض عليَّ أن أشتريها … وفي الحقيقة كانت من نوع ممتاز … وعندما وافقت على شرائها، وقال لي إنها ليست ملكه … ولكن صاحبها يريد بيعها … وطلب مني أن أذهب معه إليه.

وقاطعته «لوزة» قائلة: ألم تشتبه في هذه العرض؟! وهل من المعقول أن تذهب معه بدون أن تعرفه؟

مجدي: كان خطأً منِّي ولا شك ... لكن إعجابي «بالهارمونيكا» أنساني واجب الحذر ... فسرت معه ... وكنا أيامها نسكن في الدقي ... ومشينا حتى وصلنا إلى بولاق الدكرور ... ولاحظ هو أنني بدأت أقلق، فقال لي إنَّ المكان قريب ... وفعلًا بعد بضع دقائق من السير في الحواري المُزدحِمة دخلنا منزلًا صغيرًا مُظلمًا. وطرق باب غرفة فيه، فانفتح ... ودخل ... وترددت، ولكن الوقت كان قد فات، ووقعت في أيديهم، فقد خرج رجل ضخم من الغرفة ووضع يده على فمي، ثم حملني إلى داخل الغرفة، وأغلق الباب.

قالت «لوزة» معلِّقة: إنها لحظة رهيبة!

ورد «مجدي» في حزن: فعلًا ... ثم أحضرا شريطًا لاصقًا وضعاه على فمي حتى لا أتمكن من الصياح، وربَطني الرجل الضخم في كرسي في الغرفة ... وقال أحدهما للآخر إن عليهما الانتظار حتى يأتي الليل، لنَقلي إلى المكان المعد لإخفائي ... وأخذت أفكر ساعتها فيما ينبغي عمله ... وحاولت بقدر الإمكان أن أرسم صورة للرجلَين في ذهني حتى أتعرف عليهما فيما بعد ...

ومدَّ «مجدي» يده فتناول كوبًا من عصير الليمون، ورشف منه رشفة، ثم عاد إلى الحديث: كان هناك راديو «ترانزستور» مع الرجل النحيف، ففتحه ... وبدأت أستمع وأحاول معرفة الساعة، فقد جرداني من ساعتي ... وجاءت نشرة الأخبار، وعرفت أن الساعة الثانية والنصف ... وأن أسرتي لا بد قد بدأت تسأل عن سبب غيابي ... ومضَت الساعات ثقيلة، وأحسست بالجوع ... ولكن الرجلين استسلما للنوم، وتركاني مستيقظًا أفكر، بعد أن أغلقا الراديو ... ومضت الساعات، واستيقظ الرجل النحيف، وخرج وعاد بعد قليل، ومعه بعض الطعام جلسا يتناولانه معًا، ثم سمعت الرجل النحيف يقول للآخر: ألا نعطيه رغيفًا وقطعة جبن، فهو لا شك جائع.

رد الآخر الضخم: إذا رفعنا الكمامة عن فمه فقد يصرخ، ونروح جميعًا في داهية ... دعه فإنه لن يموت جوعًا.

لاحظت «لوزة» أن الحارس يَقترب منهما، فلفتَت نظر «مجدي» إليه، فكف عن الكلام. واقترب الحارس قائلًا: يا أستاذ «مجدي» ألا تعود إلى المنزل؟

مجدي: سأبقى مع «لوزة»، وتستطيع أنتَ أن تدخل.

الحارس: لا أستطيع ... وسأبقى معكما!

مجدي: أرجو أن تقف بعيدًا عنا قليلًا إذا سمحت! وتراجع الحارس وهو متضايق، ثم جلس على كرسي بعيد في الحديقة، بدون أن يَغيب «مجدي» عن عينيه.

عاد «مجدي» إلى الحديث قائلًا: وهبط الظلام ... وفتح الرجل الراديو «الترانزستور» وعدت أسمع من جديد ... وسمعت نشرة أخبار الثامنة والنصف ... وهنا دق الباب، فقام الرجل الضخم واقفًا وأخذ ينصت لحظات ... وعاد الدق من جديد، وكان واضحًا أنه دق منتظم متفق عليه ... فأسرع بوضع الرباط على عيني، وهكذا أصبحت لا أرى ... وظللت هكذا حتى عدت إلى بيتي ...

لوزة: وهل عدتَ في الليلة نفسها؟

هز «مجدي» رأسه قائلًا: لا، طبعًا ... إن ما حدث في هذه اللحظة لم يكن إلا البداية ... فقد سمعت صوت الباب يفتح ... ثم دخل إنسان وأغلقه من جديد.

وقال: لقد قُمتما بعملكما خير قيام!

رد الرجل الضخم، وكنت قد اعتدت صوته، قائلًا: لقد انتهت مهمتنا، ونريد حقنا حتى ننصرف!

رد الرجل الثالث: هذا هو اتِّفاقنا ... وهذا هو المبلغ!

قال الرجل الضخم: ليس هذا هو المبلغ الذي اتفقنا عليه ... إنه نصفه فقط!

قال الرجل الثالث: لن أدفع النصف الباقي حتى أقبض الفدية!

الرجل الضخم: لكن ... هذا إخلال باتفاقنا.

قال الرجل الثالث في صوت قاسٍ: لا مناقشة معي ... وإلا ...

وسكت الرجل الضخم ... وأدركت أن الرجل الثالث هو زعيم العصابة، فقد كان واضحًا أن الآخَرَين يَخافان منه.

وسمعت خطوات في الغرفة، ثم فتح الباب، وسمعتُ صوت أقدامٍ تخرج، ثم أغلق الباب مرة أخرى، وساد الصمت ... وكان واضحًا أنَّ الرجلَين اللذَين اشتركا في اختطافي قد انتهت مُهمَّتهما وانصرَفا ... وبقيت وحدي في الغرفة أستمع إلى تنفس الرجل الثالث وصوت خطواته، وهو يتجول في الغرفة ... ومضى وقت طويل دون أن يتحدث، ثم سمعت صوت سيارة تقف أمام الباب ... وصوت خطوات تدخل المنزل، ودق الباب مرة أخرى، ودخل رجل فقال الزعيم: هل العربة جاهِزة؟

رد الرجل الآخر: نعم ... وقد شحَّمتُها وملأتُها بالجاز!

قال زعيم العصابة: عليك بلفِّ هذا الولد في بطانية وحمله ... سأُراقب أنا الشارع، فإذا سمعت صفارتي فاخرج بسرعة، وسوف أفتح شنطة السيارة لتضعه فيها.

فك الرجل الحبل ... ولم أستطع مقاومته فقد كنت متعبًا وجائعًا، فعاود شد وثاقي ... ثم حملني ... وبعد لحظات سمعت صوت الصفارة المتفق عليه، فخرج الرجل بي

مسرعًا ... وأحسست به ينحني ثم يلقي بي في شنطة السيارة ويغلق عليَّ بالمفتاح ... وبعد لحظات دارت السيارة وانطلقت ... كنتُ أشعر بتعبٍ فظيع ... وجسدي كله يُؤلِمُني وأنا نائم على صاج الشنطة، مكوَّرًا مربوطًا، ولكنني حاولت ألا أستسلم لليأس ... وأن تكون أعصابي هادئة حتى أعرف كل ما يدور حولي ...

وسكت «مجدي» ثواني قليلة ... وكانت «لوزة» ترجو ألا يتوقف أبدًا، فقد كانت قصته مثيرة. وهي تحاول حفظها كاملة حتى ترويها للأصدقاء ... فقالت تستحثه: وماذا حدث بعد ذلك؟

مجدي: سارت السيارة في شوارع القاهرة ... وكنتُ أسمع حركة المرور النشيطة حولي، ومضت عشر دقائق تقريبًا، وسمعت بوضوح دقات ساعة الجامعة، فأخذت أعدُّها، بعد أن توقفَت السيارة عند إشارة مرور ... كانت عشر دقات ... وهذا يَعني أنها كانت الساعة العاشرة وأنَّنا نمرُّ بالقرب من جامعة القاهرة، وأنا أُركِّز انتباهي في الاستماع إلى ما حولي من أصوات ... وبدأت السيارة تميل إلى الأمام ثم عادَت تَميل إلى الخلف وتصعد من جديد ... وأدركت أننا نمرُّ من نفق شارع الهرم ...

ومضَت السيارة تجري ... كانت تسير بسرعة مُخيفة ... ربما كانت نحو ١٠٠ كيلومتر في الساعة ... ولكنها كانت تُبطئ طبعًا في الأماكن المزدحمة أو عند إشارات المرور ... وبعد فترة توقَّفَت السيارة ... هل انتهَت الرحلة؟ هكذا سألت نفسي، ولكن الرحلة لم تكن قد انتهت بعد ... لقد كانت نقطة تفتيش ... وأدركت أننا في أول الطريق الصحراوي، ومضَت السيارة ... وكنت قد حاولت أن أضرب جوانب الشنطة بقدمي، فقد يَسمعُني شرطي المرور ... ولكن الضربات كانت ضعيفة، لأن البطانية كانت تعوق حركتي ... ومضت السيارة تطوي الطريق مسرعة ... وبلغ بي التعب والإعياء حدًّا جعلني أنام ... واستيقظت على ثلاثة مطبات شديدة متوالية اهتزت لها السيارة بعنف، وتوقفت بعد ذلك بأمتار، وسمعت باب الشنطة يفتح ... وامتدَّت يدان حملتاني إلى الخارج ... وأحسست بهواء الليل البارد برغم أننا في فصل الصيف ... وكانت الريح تهبُّ بشدة إلى حدٍّ ما، واستطعت أن أشم رائحة البحر ... فهل أنا في الإسكندرية ... أو عند بحيرة قارون؟

وقالت «لوزة»: وماذا تبينت ... الإسكندرية أم الفيوم؟ رد «مجدي»: سيكون هذا حديثنا غدًا ... فإنني مُضطرٌّ الآن أن أدخل المنزل؛ فموعد عودة والدي قد حان.

قالت «لوزة»: إلى اللقاء غدًا.

عقبات في الطريق

عندما عادت «لوزة» إلى الأصدقاء كانوا جميعًا مشتاقين إلى سماعها، فلم يكن لهم نشاط في حل اللغز ... وكانت «لوزة» هي أملهم الوحيد في الحصول على معلومات تُؤدِّي إلى العصابة في الوقت المناسِب لإنقاذ «عصام»!

قالت «لوزة» لقد حصلت على معلومات هامة ... ولكنها للأسف ناقصة ... فقد كان لا بد أن أترك «مجدي» لقرب عودة والده.

قال «تختخ»: لا بأس، عليك أن تقولي لنا ما سمعته ... بالضبط ... وعلينا جميعًا أن نستمع جيدًا، فقد تكون كلمة واحدة كافية لحل اللغز.

وبدأت «لوزة» تعيد ما سمعته بالضبط من «مجدي». كأنها جهاز تسجيل قد سُجِّل عليه الحديث ... لم تترك كلمة لم تقلها ... وعندما توقفت صاح الأصدقاء في نفس واحد: أفي الإسكندرية وجد نفسه أم في الفيوم؟

ردت «لوزة»: هذا ما لم أعرفه!

قال «محب»: لماذا؟

لوزة: لأنه توقف عن الحديث في هذه اللحظة، فقد حان موعد عودة والده!

عاطف: لقد اختار وقتًا مناسبًا حقًّا ... ليتركنا في أشد الحيرة.

لوزة: هذا ما حدث بالضبط ... وغدًا نعود إلى إتمام الحديث!

تختخ: على كل حال ... حصلنا على معلومات لا بأس بها ... فهناك مقر للعصابة في إمبابة، وأرجح أن العصابات قد غيَّرته طبعًا؛ لأن «مجدي» يعرفه، أو تظن العصابة أنه يعرفه ... وهناك عضوان في العصابة يعملان في القاهرة فقط ... مهمتهما سحب الأولاد المطلوب خطفهم إلى مقر العصابة في القاهرة، ثم تقوم العصابة بنقلهم إلى مكان بعيد بعد تعصيب عيونهم، حتى لا يعرفوا إلى أين يذهبون.

نوسة: لكن ينقصنا الكثير ... تنقصنا معرفة مقر العصابة في المكان البعيد الذي ينقلون إليه الأولاد ... وتنقصنا الطريقة التي تتسلم بها العصابة الفدية ... وهي كلها معلومات ضرورية ... بل هي المعلومات الهامة.

لوزة: على كل حال سوف أحصل على هذه المعلومات غدًا ... فهل هناك أسئلة أخرى تريدون الحصول على الإجابة عنها من «مجدي» حتى أسأله عندما أقابله؟

تختخ: ليست هناك أسئلة معينة ... المهم أن تجعليه يروي كل شيء ... وإذا أحسست أن هناك نقطة غير واضحة، فاسأليه أن يوضحها لك.

لوزة: هذا ما أفعله بالضبط!

محب: والآن ماذا نفعل؟

عاطف: لا شيء ... سوى أن نطرقع أصابعنا في انتظار الغد!

وضحك الأصدقاء وانهمكوا في بعض الألعاب المسلية، ثم تفرقوا على أن يلتقوا مرة أخرى في منتصف الغد، بعد أن تعود «لوزة» من مقابلة «مجدي».

وفي صباح اليوم التالي ... في التاسعة كالمعتاد، كانت «لوزة» تتجول حول الفيلا الكبيرة التي يسكنها «مجدي» وهي تحمل «الهارمونيكا» ... ولكنها لم تعزف عليها، فقد كانت على موعد معه.

مرت بضع دقائق بدون أن يظهر «مجدي» ... لكن «لوزة» لم تقلق، فقد تصوَّرت أنه مشغول، وسوف يظهر بين لحظة وأخرى ... لكن دقائق أخرى مرت بدون أن يظهر ... وبدأت «لوزة» تحس القلق ... ونظرت إلى الحديقة ... لم يكن هناك أحد على الإطلاق ...

دارت «لوزة» حول الفيلا دورة واسعة، وهي تتطلَّع إلى نوافذها ... كانت بعض النوافذ مفتوحة مما يدل على وجود أسرة «مجدي» بها ... وخيل إليها أنها رأت من خلال نافذة مفتوحة رأس «مجدي» وهو يَعبُر الغرفة سريعًا. فأخرجت «الهارمونيكا» وبدأت تعزف عليها، وهي تُلقي ببصرها إلى النافذة ... وفعلًا رأت «مجدي» يُسرع إلى النافذة وينظر منها ... ثم رأت الحارس يقترب سريعًا ويجذبه إلى الداخل، ثم يغلق النافذة!

أدركت «لوزة» أن أسرة «مجدي» قرَّرت منعه من مقابلتها ... وفعلًا ظهر الحارس في الحديقة، وأقبل نحوها مسرعًا ثم صاح بها: ابتعدي من هنا ... لا تعودي مرة أخرى ... إن «مجدي» يرفض مقابلتك.

أحسَّت «لوزة» بالاضطراب، وأسرعت تبتعد، وقد دارت في رأسها عشرات الأفكار والخواطر ... هل يشكُّون فيها؟ هل يعتقدون أنها من العصابة مثلًا؟ شيء غير معقول!

أخذت «لوزة» تجري حتى وصلت إلى منزلها ... لم يكن أحد من الأصدقاء قد حضر بعد ... حتى شقيقها «عاطف» كان قد خرج ... وجلست تحت شجرة في الحديقة، ووضعت رأسها بين كفيها وأخذت تفكر ... ماذا يجب عمله الآن؟ ولم يكن هناك حل سوى انتظار الأصدقاء.

مضى نحو ساعة وهي تجلس وحيدة حتى حضر «عاطف» ولم يكد يشاهدها حتى صاح: لقد عدت مبكرة، لا بد أن عندك أخبارًا هامة!

لوزة: نعم ... هامة جدًّا!

عاطف: ما هي؟

لوزة: إننا لن نحصل على معلومات أخرى!

عاطف: لماذا؟ هل أصيب «مجدي» بالخرس فجأة؟

لوزة: ليس هذا وقت اللهو يا «عاطف»!

عاطف: لماذا إذن لن نحصل على معلومات جديدة؟

لوزة: لأن «مجدي» لم يقابلني ... وأظنه لن يُقابلني بعد الآن أبدًا، لقد منعوه من مقابلتي، وكاد حارسه الخاص أن يفتك بي!

عاطف: هل ضربك؟

لوزة: لا، طبعًا! ... هل كنت تريده أن يضربني أيضًا؟

عاطف: حتى أذهب إليه وأكسر عظامه!

لوزة: إنك تقول هذا الكلام لأنك لم تره ... إنه يستطيع أن يضربك بإصبع واحدة!

واحتد «عاطف» ووقف، وقبل أن يقول كلمة واحدة كان «تختخ» و«محب» و«نوسة» قد وصلوا ... وبنظرة واحدة استطاعت «نوسة» أن تعرف أن أخبارًا سيئة في انتظارهم، وفعلًا روت لهم «لوزة» ما حدث.

فقال «محب»: إنه لغز معقَّد من أوله ... فليست هناك معلومات ... وحتى المعلومات التي نحصل عليها مجرد أصوات سمعها ولد صغير ... مشكلة صعبة حقًّا!

تختخ: ليس هذا وقت اليأس ... إن هناك ولدًا مخطوفًا لا بد أن يعود إلى أهله، وعلينا أن نجد وسيلة لاستكمال المعلومات.

عاطف: كيف؟! بالقمر الصناعي مثلًا؟

تختخ: بدون قمر صناعي ... هناك وسائل أخرى للوصول إلى «مجدي» والحديث معه.

عاطف: كيف؟

تختخ: هناك التليفون مثلًا ... وهناك أن نزوره ليلًا ... وهناك أن نحاول توصيل رسالة إليه!

لوزة: نعم ... لا بد أن نحاول!

نوسة: سنُحاول طبعًا!

لوزة: لنُحاول أن نحادثه تليفونيًّا!

تختخ: هناك مشكلة ألا يردَّ هو على التليفون، ففي الأغلب سوف ترد والدته أو والده أو الحارس ... وسيعرفون أننا نحاول الاتصال به ... ومن الأفضل أن نبحث عن حل آخر.

محب: لنرسل إليه ساعي البريد يحمل رسالة منا، ويطلب الرد عليها.

عاطف: أي ساعي بريد؟

محب: «تختخ» طبعًا، وهل هناك ساعي بريدٍ غيره؟

لقد أدى هذا الدور بمهارة في ألغاز سابقة!

تختخ: تمامًا ... هذا هو الحل ... وسنُنفِّذه فورًا ... وستكون الخطة كالآتي: سأذهب الآن بسرعة إلى المنزل ... وأتنكر ... وعليك يا «محب» أن تسبقني إلى فيلا «مجدي». وتراقب ... وسأقف أنا بالدراجة بعيدًا، فإذا رأيته فأشِر لي بمنديلك، وسوف أسرع إليه.

ودبت الحياة في الأصدقاء من جديد، فأسرع «تختخ» إلى منزله، واصطحب «محب» «لوزة» معه، واتجها إلى فيلا «مجدي»، لتشير له عليها من بعيد حتى لا يراها أحد.

قال «محب» وهما في الطريق: وهل هذا موعد توزيع بريد؟

لوزة: لا أظنُّهم سيلتفتون إلى هذه الملاحظة!

محب: قد يلاحظون أن ساعي البريد ليس هو الساعي المعتاد!

لوزة: عليك قبل أن تشير إلى «تختخ» أن تتأكَّد أن الحارس مشغول بشيءٍ آخر.

محب: هناك فكرة أخرى ... أن تشغليه أنت ... اذهبي إلى قرب السور، وعندما يراك الحارس سوف يندفع إليك وينشغل بك ... وسوف أشير إلى «تختخ» ليتَّجه إلى الفيلا.

وهكذا اتجها إلى الفيلا، وهما يأملان أن يكون «مجدي» في الحديقة.

ولحسن الحظ كان هناك، والحارس يقف بعيدًا عنه يلاعب الكلاب.

ووقفت «لوزة» و«محب» في انتظار ظهور «تختخ». وبعد قليل سمعا صفارة أدركا منها أن «تختخ» قريب ... وهكذا ظهرت «لوزة» متجهة إلى جانب بعيد من السور محاولة لفت نظر الحارس إليها.

رأى الحارس «لوزة» فاندفع ناحية سور الحديقة وهو يَصيح، ودارت بينهما مناقشة حادَّة استولت على كل اهتمامه. وفي هذه اللحظة أشار «محب» بمنديله، فأسرع «تختخ» إلى الحديقة، ودفع الباب في جرأة، واتجه إلى «مجدي»، ودفع إليه بورقة قائلًا: من «لوزة».

ثم أسرع مبتعدًا ... وفي الوقت نفسه ابتعدت «لوزة» عن السور. ولم تمض لحظات حتى كان الثلاثة يجتمعون في أحد الشوارع الجانبية وهم يَضحكون، فقد نفذوا الخطة بإتقان بدون أن يشك الحارس في شيء ... بل إنه لم يرَ ساعي البريد المزيف.

قال «محب»: ماذا كتبت له في الرسالة؟

تختخ: كتبت له ... اكتب لنا بقية ما سمعت في ورقة ... وغدًا صباحًا في التاسعة بالضبط، سيظهر ساعي البريد مرةً أخرى ... إذا استطعت الوصول إليه فسلِّمها له ... أو اقذفها خارج السور، وسوف نحصل عليها. ثم وقعت على الورقة باسم «المغامرين الخمسة».

لوزة: كانت خطة بارعة!

واتجه «محب» و«لوزة» إلى الحديقة، في حين أسرع «تختخ» إلى منزله حيث أزال التنكر، ثم عاد إلى الأصدقاء، فقضوا بعض الوقت يتناقشون. وعندما حان موعد الغداء تفرقوا على أن يقوم «تختخ» في اليوم التالي بالذهاب إلى فيلا «مجدي» للحصول على الرد.

عندما وصل «تختخ» إلى منزله وجد أن المفتش «سامي» قد اتصل به، فأسرع إلى التليفون وطلبه، وقال المفتش: لقد تحركت العصابة اليوم، وطلبت فدية من والد «عصام» إنهم يطلبون خمسة آلاف جنيه.

تختخ: وهل حدَّدوا كيف يتسلمونها؟

المفتش: لا ... لقد طلبوا تجهيزها فقط إلى أن يتصلوا بهم مرة أخرى في وقت قريب.

تختخ: إننا نحاول الحصول على معلومات من «مجدي»، برغم صعوبة الاتصال به، لكن غدًا قد نحصل على المعلومات المطلوبة، فما وصلنا إليه حتى الآن ليس كافيًا.

المفتش: للأسف سوف أُسافر غدًا في مهمة ضرورية جدًّا.

تختخ: لا بأس ... سنُحاول حتى تعود.

المفتش: إلى اللقاء.

تختخ: إلى اللقاء.

أذن الموسيقار

في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي تجمَّع «محب» و«لوزة» و«نوسة» و«عاطف» معًا، وجلسُوا في حديقة «عاطف» يَتحدَّثون. كانوا جميعًا يَشعُرون بتوتُّر شديد ... وإثارة بالغة ... فبعد ساعة تقريبًا سيَظهر «تختخ» في ثياب «البوسطجي» في طريقِه إلى فيلا «مجدي» فهل يحصل على الرد؟! هل يتمكَّن «مجدي» من كتابة الرسالة المطلوبة؟! إنَّ المغامَرة كلها متوقِّفة على هذا الرد.

وجلس الأصدقاء يتحدَّثون ... ولكن آذانهم كلها كانت في انتظار جرس دراجة «تختخ» ... ومرت الدقائق بطيئة كأنَّها ساعات ... وأخيرًا سمعُوا الجرس المعتاد ... وشاهَدوا ساعي البريد الذي أشار لهم بيده مُحيِّيًا، ثم انطلق في طريقه إلى فيلا «مجدي»، وشيَّعه الأصدقاء بنظراتهم حتى اختفى. انطلق «تختخ» مُسرعًا؛ فلم يبقَ سوى دقائق قليلة ويحصل على المعلومات المطلوبة ... وسرعان ما اقترب من الفيلا ونظر إلى الحديقة ... ولكن أحدًا لم يكن هناك سوى البستاني، ونظر «تختخ» في ساعته، كانت الساعة التاسِعة تمامًا ... لماذا لم يظهر «مجدي»؟

قرَّر «تختخ» أن يَنتظِر بعض الوقت ... وفضَّل أن يدور حول الفيلا بالدراجة بدلًا من أن يقف فيلفت الأنظار إليه ... وبدأ يدور، وعندما وصَل إلى مُنتصَف الحديقة تقريبًا، سمع صوت «الهارمونيكا» يَرتفِع بنغمة جميلة، ثم اختفى الصوت! ... إنَّ «مجدي» موجود فعلًا ... ولكن أين هو؟ ولماذا لا يخرج إلى الحديقة ويُسلمه الرد؟! ... دار «تختخ» حول الفيلا وتوقف ... ومضت لحظات ... وقرَّر أن يدور حول الحديقة مرةً ثانية ... وعندما وصَل إلى مُنتصَف الدائرة تقريبًا سمع صوت «الهارمونيكا» مرة أخرى ... النغمة نفسها ... في المكان نفسه ... لا بدَّ أن «مجدي» يقصد أن يُبلغه رسالة ما ... لكن ما هي هذه الرسالة؟!

وقرَّر أن يلفَّ مرة ثالثة حول الحديقة ... وفعلًا مضى يدور حولها ... وعندما وصل إلى المكان نفسه الذي سمع عنده الصوت مرتَين من قبل، ارتفع الصوت مرة ثالثة ... وتوقف «تختخ» ... لا بد أن «مجدي» يطلب منه التوقف في هذا المكان ... وتوقف ونظر حوله ... وصح ما توقعه ... لقد كانت هناك لفافة بيضاء على السور ... فالتقطها «تختخ» مُسرعًا، ومضى ...

كان الأصدقاء الأربعة قد فقدوا الأمل في عودة «تختخ» بالرسالة ... فقد تأخر كثيرًا، وتوقَّعوا أن يكون الحارس قد أمسكه، وكشف الحقيقة ... فقرَّروا أن يركبوا دراجاتهم ويلحقوا به، ولكنهم قبل أن يخرجوا من الحديقة سمعوا صوت الجرس يأتي من بعيد، فتوقفوا بقلوب خافقة ... وظهر «تختخ» وأشار لهم أن يتبعوه إلى منزله فأدركوا أن أخبارًا هامة في الطريق إليهم.

سبقهم «تختخ» إلى منزله، فأزال تنكُّره، وبعد دقائق نزل إلى الحديقة، فقالت «لوزة»: سبع أو ضبع؟

رد «تختخ» باسمًا: سبع طبعًا!

والتفوا حوله وهو يفضُّ الرسالة، وأخذ يقرؤها عليهم بصوت مرتفع، ويحاول أن يصحح ما بها من أخطاء في أثناء القراءة.

من «مجدي» إلى المغامرين الخمسة ...

إنني معجب بكم جدًّا، وأريد مساعدتكم ... وقد غيرت خطة تسليم الرد لكم، فقد خشيت أن يراكم الحارس وأنا أسلمها لكم، أو أقذفها من سور الحديقة بحسب اتفاقنا، فقرَّرت أن أنزل ليلًا لأضعها على السور المقابل لغرفة نومي ثم أختبر ذكاءكم في كشف مكانها ... فإذا اكتشفتم المكان كنتم أذكياء حقًّا ...

وتوقف «تختخ» عن القراءة قائلًا: إنه ولد في غاية الذكاء.

لوزة: ولكن كيف اكتشفتها أنت؟

تختخ: عندما ذهبت ولم أجده قررت أن أدور حول الحديقة ... وعند مكان مُعيَّن منها سمعت صوت «الهارمونيكا». وعندما درت مرة ثانية سمعت الصوت عند المكان نفسه ... فأدركت أن هناك رسالة لي ... ودرت مرة ثالثة وعندما سمعت الصوت توقفت، ونظرت إلى السور فوجدت الرسالة!

نوسة: إنه ولد في غاية الذكاء فعلًا!

لوزة: المهم أن «تختخ» عرف مكان الرسالة ... إنه في مُنتهى الذكاء أيضًا ... ومضى «تختخ» يقرأ:

> في آخر حديثي مع «لوزة» قلتُ لها إني شممتُ رائحة البحر ... وتساءلت أفي الإسكندرية أنا أم عند بحيرة قارون في محافظة الفيوم؟ وكانت السيارة قد توقفت بعد أن مرت بثلاث مطبات متتالية. لم أكن أستطيع أن أعرف لولا أنني سمعت راديو رئيس العصابة بجواري، وسمعت المذيع يقول انتهت نشرة الساعة الحادية عشر، وإليكم مُلخَّصًا لأهم ما جاء بها ... معنى هذا أن الوقت قد كان بين الحادية عشرة والربع والحادية عشرة والنصف تقريبًا ... أي إن السيارة قطعت المسافة بين الجامعة في الجيزة عندما دقت الساعة العاشرة إلى المكان الذي توقفت فيه في ساعة وربع ساعة تقريبًا ... فهل كان من الممكن أن تصل السيارة إلى الإسكندرية في مثل هذه المدة؟ غير مُمكن طبعًا؛ لأنها حتى لو سارت بسرعة ١٠٠ كيلو متر بدون توقف لقطعت المسافة في أكثر من ساعتين ... معنى هذا أنني في ذلك الوقت كنت عند بحيرة قارون، لأن المسافة بين الجيزة وبحيرة قارون حوالي ١٣٠ كيلو متر ... أليس ذلك صحيحًا.

توقف «تختخ» عن القراءة مرةً أخرى، وهز رأسه، وقال: إنه ولد عبقري ... إنه يستحق أن نضمَّه إلى «المغامرين الخمسة» ... لقد استطاع عن طريق أذنَيه فقط أن يعرف أين هو ... أليس هذا عجيبًا؟!

رد «محب»: عجيب فعلًا! ... ولكن لا تنسَ أنه موسيقار، والموسيقار يعتمد على أذنيه أكثر ممَّا يعتمد على أيِّ شيء آخر ...

نوسة: لكن ليس كل موسيقار يَستطيع أن يستنتج هذا كله!

عاطف: فعلًا ... لقد استعمل أذنيه وعقله ببراعة شديدة!

لوزة: أكمل قراءة الرسالة يا «تختخ» فإنني متشوِّقة لمعرفة ما حدث بعد ذلك!

ومضى «تختخ» يقرأ:

> وقف الرجلان يتحدَّثان بجانب السيارة ... وفهمت مما دار بينهما أنهما مُتضايقان، فقد كانا في انتظار رجال آخرين لم يَحضُروا ... ويبدو أنهما وصلا قبل الموعد ...

وبعد لحظات سمعتُ صوت أقدام حمير … توقفت عندنا، وسمعت مناقشة حادة بين زعيم العصابة وآخرين … كان غاضبًا لأنهم تأخَّروا … ثم حملني أحدهم وأركبني حمارًا، ومشينا … وسمعت صوت العربة وهي تستدير عائدة … وسارت الحمير … كانت ثلاثة، وكنت أركب واحدًا منها، بعد أن فكوا وثاقي … وسرنا مسافة طويلة … ثم توقفنا، وأنزلني رجل … وسمعت حوارًا سريعًا لم أسمع فيه صوت زعيم العصابة، فاستنتجتُ أنه عاد إلى القاهرة بالسيارة، وقادني الرجل إلى مكان شممت فيه رائحة دخان … فأدركت أنني في منزل ريفي، وأجلسوني على حصير على الأرض ثم سألني أحدهم، وهو يرفع الشريط اللاصق عن فمي: أجائع أنت؟ فقلت: نعم، فأحضروا لي خبزًا وجبنًا، وطماطم، فأكلت واستسلمتُ للنوم فورًا!

قال «محب»: العصابة جزءان إذن؟!

تختخ: ذلك واضح … فهناك مجموعة للاختِطاف ومجموعة للإخفاء!

عاطف: يا لها من عصابة!

لوزة: دعونا من المقاطعات الآن … نُريد أن نسمع!

ومضى «تختخ» يقرأ:

عندما استيقظت، وجلستُ في مكاني سمعتُ صوت ولد صغير يُحدِّثني ويقول لي إنه سيظلُّ معي طول الوقت، ومن الواضح أنَّ العصابة وضعتْه في خدمتي … وأحضر لي «الروبي» — وهذا هو اسمه كما عرفت فيما بعد — إفطاري … وجلسنا نتحدث … ولكن «الروبي» كان حذرًا … فلم يكن يتحدث كثيرًا … كان يستمع طوال الوقت … وأخذت أستمع إلى ما حولي من أصوات … كانت هناك أصوات غربان كثيرة قريبة … وفيما عدا ذلك لم تكن هناك أصوات قريبة … ولكن أبعد قليلًا كان هناك صوت ساقية تدور … وأبعد من هذا صوت صفارة مُتقطِّعة … أظن أنها صفارة ماكينة الطحين … هذه هي الأصوات التي ظللتُ أسمعها خلال الفترة التي قضيتها في المنزل الريفي، بالإضافة إلى رائحة قذرة جدًّا وكريهة شممتها فترة طويلة … كانت رائحة حمار ميت، كما عرفت من «الروبي». لم تكن هناك أصوات أخرى من الممكن أن أستمع إليها. ولم يبق من ملاحظاتي شيء يمكن أن تستفيدوا منه. فقد مرت الأيام متشابهة وثقيلة حتى

عدتُ بالطريق نفسه. ركوب الحمير، ثم السيارة، ثم المطبات الثلاثة مرةً أخرى. ثم وصلت إلى القاهرة ليلًا حيث رفعت العصابة الرباط من على عيني، وعدت إلى المنزل وحدي.

بقيت كلمة أخيرة: لقد أصبح «الروبي» صديقي، وقضَينا الوقت وأنا أعلمه عزف «الهارمونيكا» التي ظلَّت معي طول الوقت.

والواقع أن هذا الولد الريفي كان شديد الذكاء والحساسية، فتعلَّم العزف في أيام قلائل ... ربما كان أفضل من «لوزة» لو حاولت التعلُّم ... وقد أهديته «الهارمونيكا» قبل أن أعود.

أرجو أن تكونوا حذرين ... ولكم تحياتي.

انتهت الرسالة، وأخذ الأصدقاء يتبادلون النظرات، ثم قالت «نوسة»: إنها معلومات كثيرة حقًّا ... ولكن من الصعب تحديد المكان، فأين وقفت السيارة؟ وأين هذا المنزل الريفي؟ وفي الريف عشرات السواقي وعشرات الطواحين الآلية ...

قال «تختخ»: ألم تلاحظوا أن في الرسالة استنتاجات أخرى لم يعرفها الولد الذكي «مجدي»؟

رد «عاطف»: إن كل ما سمعَه بأذنَيه أو شمه بأنفه قد أسس عليه استنتاجًا قويًّا ... وليس هناك شيء آخر.

تختخ: على العكس ... هناك ثلاثة أشياء هامة في هذه الرسالة لم يلتفت إليها «مجدي»، ولكنها تهمنا جدًّا.

صاح الأصدقاء في نفس واحد: ما هي؟

تختخ: أولًا: المطبات ... إن وجود هذه المطبات يُحدِّد لنا بالتقريب المكان الذي وقفت قربه السيارة ... ثانيًا: الغربان ... إنَّ الغربان لا تقف على الأرض كثيرًا ... فهي عادة تقف على شجرة عالية ... فهناك شجرة بجوار هذا المنزل ... ثالثًا: ... الحمار.

صاحت «لوزة»: أي حمار؟

تختخ: الحمار الميت ... إن هذا الحمار قد تحول الآن — بعد مرور ثلاثة أسابيع — إلى هيكل عظمي بعد أن أكلت لحمه الطيور والكلاب الضالة ... وهو دليل هام قرب المنزل الريفي.

محب: ما زال المغامرون الخمسة أكثر ذكاء.

نوسة: وماذا نفعل؟

تختخ: نبدأ غدًا رحلة إلى الفيوم للبحث عن المنزل الريفي!

عاطف: نحن جميعًا؟

تختخ: «محب» و«عاطف» وأنا فقط!

لوزة: إنني أحتج بشدة!

تختخ: سنحتاج إلى وجودك أنت و«نوسة» هنا … فسنذهب للاستكشاف فقط، وعندما نجد المنزل الريفي نتصل بكما لإبلاغ المفتش «سامي».

محب: وماذا نأخذ معنا؟

تختخ: سوف نشحن الدراجات حتى أقرب مكان من بحيرة قارون، ثم نركبها؛ لأننا سنتجوَّل كثيرًا.

مصدر الصوت

في الصباح الباكر حملت سيارة الأتوبيس الأصدقاء الثلاثة ودراجاتهم إلى الفيوم ...

قال «محب»: لقد قُمنا بهذه الرحلة قبلًا ... ولكن في الشتاء!

عاطف: نعم ... كان ذلك عندما ذهبنا وراء المهرب الدولي ... الذي نسيت اسمه ... وإن كان اسمه كاسم نوع مشهور من السجائر.

تختخ: كان اسمه «جون كنت» ... ونحن لم نذهب خلفه، لقد أوقعتْه المصادفة في أيدينا!

عاطف: لقد نسينا أن نأتيَ بالمصادفة معنا ... حتى تقع العصابة في أيدينا هذه المرة أيضًا.

ابتسم «تختخ» وقال: يجب ألا نَعتمِد على المصادفة ... إن العمل الشاق وحده هو الذي يَخلق الحظ الحسن!

عاطف: هل تتفلسَف على الريق؟

تختخ: لا مانع من الفلسفة بين وقت وآخر!

ومضى الأتوبيس يشق طريقه مسرعًا حتى وصل إلى شارع الهرم، ثم تجاوزه إلى طريق الفيوم الصحراوي، حيث وقف في بداية الطريق، وقال «محب» هامسًا: هذه هي نقطة التفتيش التي وقف عندها «مجدي»، وهو مُلقًى في السيارة ... وهذا يؤكِّد أن استنتاجه صحيح ...

تختخ: إنه ولدٌ شديد الذكاء ... ولو تركته أسرته يدلي بالمعلومات إلى الشرطة لاستطاع رجال الشرطة الوصول إلى العصابة.

عاطف: ولخسرنا نحن اللغز!

تختخ: إننا لا نبحث عن الألغاز لننافس رجال الشرطة ... فهدفنا واضح هو مساعدة العدالة فقط ... إننا أصدقاء رجال الشرطة، وهناك عدد كبير من الأولاد والبنات يعملون في مساعدة الشرطة.

مضت ساعة والأتوبيس يمضي مسرعًا، وارتفعت الشمس، وارتفعت معها درجة الحرارة، ثم انتهى الطريق الصحراوي، وأخذ الأتوبيس يشق طريقه بين المزارع، وبعد دقائق وصل إلى الطريق الموازي للبحيرة فهمس «عاطف» علينا الآن أن نكون يقظين ... فقد نقع في المطب الذي نبحث عنه.

ابتسم «محب» و«تختخ» للنكتة؛ لأن «عاطف» لم ينسَ خفَّة دمه وهم في قلب المغامرة. وتذكر «محب» أنهم لم يتَّفقوا على مكان للمبيت فيه، ولما قال ذلك لـ «تختخ» قال «تختخ»: نسيت صديقنا «عواد» الذي استضافنا في أثناء مغامرة المهرب الدولي؟! نستطيع أن نذهب إليه ... وعلى كل حال أرجو ألا تَطُول المغامرة كثيرًا.

ومضت فترة أخرى ... ثم هدأت سيارة الأتوبيس من سرعتها، ثم اهتزت بشدة عند ثلاثة مطبات متتالية، فهبَّ «تختخ» واقفًا، وذهب إلى السائق الذي كان يستعدُّ للإسراع بالسيارة مرةً أخرى، وقال له: أرجو أن تسمح لنا بالنزول هنا!

السائق: لكن ليس هنا محطة ... ولا قرى قريبة!

تختخ: إن معنا دراجات سنركبها إلى المكان الذي نقصده. كان السائق كريمًا، فأوقف السيارة، وبسرعة أنزل الأصدقاء دراجاتهم إلى الأرض ... وبعد لحظات كانت السيارة تبتعد والأصدقاء الثلاثة يقفون في الخلاء وحدهم. وقال «محب»: أعتقد أننا تسرَّعنا بالنزول ... فقد لا تكون هذه المطبات دليلًا أكيدًا على أننا قريبون من المكان ... ولعلَّ هناك مطبات أخرى ...!

ضحك «عاطف» قائلًا على كل حال نرجو أن تكون هذه هي المطبات المطلوبة!

تختخ: نحن في مُنتصَف المسافة تقريبًا بين بداية طريق البحيرة ونهايته ... فنحن في أحسن موقع يُمكن أن نبدأ منه بحثنا.

محب: ومن أين نبدأ؟

تختخ: كما نذكر ... إذا كنا في المكان الصحيح. فهنا طريق قريب تسير فيه الدواب!

محب: ولكن الدواب تسير في أي طريق!

تختخ: فعلًا، أقصد أن يكون طريقًا لا تَسير فيه السيارة، ولكن تسير فيه الدواب ... فلا بد أن تكون هناك مسالك واضحة تسلكها الدواب!

عاطف: دعكما من هذه المناقشة واستمعا معي!

ووقف الثلاثة يستمعون في الصمت المخيم على الريف الجميل ... لم يكن هناك سوى صوت البحيرة ... لكن من بعيد ... كان هناك صوت صفارة مُتقطِّع يدوي في الفضاء ... إنه صوت مكنة الطحين!

قال محب: مكنة الطحين؟!

عاطف: مكنة الطحين ... أهم علامة تُرشدنا إلى المكان!

تختخ: لنحاول تحديد الاتجاه ... ركزوا انتباهكم جيدًا! ووقف الثلاثة ينصتون في استغراق عميق، ثم رفع «محب» يده في صمت، وأشار إلى اتجاه الشرق ... وهزَّ «تختخ» و«عاطف» رأسَيهما موافقين، ثم انطلق الثلاثة بدراجاتهم.

كان ثمَّة طريق غير ممهَّد يمتد داخل الأرض المزروعة ... فساروُا فيه بدون أن يتمكَّنوا من زيادة سرعتهم ... ولم تكن الشمس قد اشتدَّت حرارتها بعد ... ورائحة الأزهار والمزروعات تملأ الجو ... ونسي الأصدقاء الثلاثة أنهم في مغامرة ... وأخذوا يتنفسون عميقًا، وهم يقودون دراجاتهم في اتجاه الصوت. وكانوا بين فترة وأخرى يقفون ليتأكَّدوا أنهم في الاتجاه الصحيح ...

وعلى امتداد البصر ... امتدت المزروعات، والفلاحون يعملون في نشاط ... والأبقار تخور بين لحظة وأخرى ... والعصافير تنطلق من شجرة إلى شجرة ... تزقزق في ابتهاج.

وفجأة برزت في طريقهم فتاة صغيرة تقود حمارًا ... كانت تجتاز الطريق بين حقل وآخر، وكانت فرصة للأصدقاء ليتحدثوا إليها، فأسرعوا ... وعلى صوت أجراس الدراجات التفتَت الفتاة لتراهم، فأشار لها «محب»، فتوقفت، وعندما وصلوا إليها قال لها «محب»: إننا من القاهرة ونبحث عن مكان هنا!

قالت الفتاة: ما هذا المكان؟

أحسَّ «محب» أنه أخطأ، فهم لا يَعرفون أين هم ذاهبون، فأسرع «عاطف» ينقذه بخفة دمه قائلًا: وهل هنا أكثر من مكان؟

أبدت الفلاحة الصغيرة دهشتها وقالت: هنا مركز «طامية»، ولكنكم بعيدون عن المركز كثيرًا!

عاطف: شكرًا ... ما هذا الذي تحملين؟

قالت الفتاة بخجل وهي تمد يدها: إنها جوافة ... تفضلوا! وهي مغسولة أيضًا!

ورفضت أن تَتقاضى منهم أيَّ ثمن، ثم ابتعدت وهي تبتسم، في حين انهمك الثلاثة في أكل الجوافة الطازجة الشهية، وهم يُعاودون الانطلاق بدراجاتهم إلى مصدر الصوت.

كان الصوت يزداد وضوحًا كلما أوغلوا في سيرهم ... حتى إذا أصبحوا قريبًا جدًّا منه أحسوا بالتعب، وقال «تختخ»: تعالوا لنرتاح قليلًا في ظل هذه الشجرة، ونتَّفق على ما نفعله الآن!

وجلسوا تحت شجرة كبيرة يرتاحون، وأشار «محب» إلى مجموعة من الأشجار تقف بعيدة عنهم وكأنها سور كبير، ثم قال: هل تُلاحظان هذه المجموعة من الأشجار ... إنها تكون سورًا طبيعيًّا ... ولو شئت أن أخفي إنسانًا أو شيئًا لأخفيته خلف هذه الأشجار.

قال «تختخ» فجأة: الأشجار العالية ... الغربان ... هل تذكُران أن «مجدي» تحدث عن غربان تنعق في المكان الذي كان به.

عاطف: فعلًا ... إننا قريبون جدًّا من المكان ... فما هي الخطوة التالية؟ هل نعود لنخطر رجال الشرطة؟

لم يُجب أحد. واستغرق الثلاثة في التفكير ... ومضت لحظات والطبيعة حولهم هادئة إلا من صوت مكنة المطحن ... ثم قال «تختخ»: ما زال علينا أن نتأكد، فنحن لم نرَ شيئًا رأي العين ... وينقص من الأدلة حتى الآن ... الساقية ... فنحن لا نسمع صوتها ... والهيكل العظمي للحمار ...

عاطف: سنجد الساقية ... ولكن الحمار ... لعلَّهم ألقوه بعيدًا!

تختخ: هذا ممكن على كل حال ... إنني أفكر ألا نتقدم بالدراجات أكثر من هذا، حتى لا نلفت إلينا أنظار رجال العصابة، فلا بد أن لهم مُراقبين يراقبون الغرباء أمثالنا.

ثم أشار بيده إلى أكوام من القش كانت قريبة منهم، وقال: سنخفي الدراجات تحت هذه الأكوام، ثم نسير على الأقدام بين المزروعات حتى لا يرانا أحد، ونقترب من سور الأشجار ونراقب.

وقاموا مسرعين، فأخفوا الدراجات الثلاثة تحت أكوام القش الكثير، ثم خرجوا من الطريق العادي، ونزلوا بين الزراعات يسيرون ... وأخذوا يقتربون شيئًا فشيئًا من صف الأشجار ... وارتفعت أصوات الغربان فوق رءوسهم، وأحسوا أنهم قريبون جدًّا من مقر العصابة حيث اختفى «مجدي» من قبل، ويختفي «عصام» الآن.

وعندما زاد اقترابهم من الأشجار أشار لهم «تختخ» أن يخفضوا رءوسهم أكثر ... وبعد لحظات كانوا قد وصلوا إلى صف الأشجار الكبيرة، فاختفوا خلف واحدة منها، وأطلقوا أبصارهم ... وعلى بُعد نحو مائة متر ... كان ثمَّة منزل ريفي من الطين يقف وحيدًا في الخلاء، تحت شجرة توت معمرة، قد تدلَّت أغصانها عليه كأنها تَحتضنه، وفي

الظل أمام الباب كان يجلس فلاح طويل القامة، قد علَّق في كتفه بندقية، وأمامه نار مشتعلة، عليها إبريق الشاي التقليدي الأزرق ... وعلى بعد ١٠٠ متر أخرى كانت الساقية التي يبحثون عنها ... واقفة لا تدور ... وعلى مسافة أخرى كان يبدو ما يشبه الهيكل العظمي للحمار!

نظر الأصدقاء الثلاثة أحدهم إلى الآخر ... وقد ارتسمت على وجوههم علامات الجد والخطورة ... لقد عثروا على مخبأ العصابة بمجهودهم الشخصي، وبواسطة أذن الموسيقار الصغير «مجدي»! وكانت تدور بأذهانهم فكرة واحدة: ما هي الخطوة التالية؟ أشار «تختخ» فاقتربت رءوسهم حتى يمكنهم الحديث همسًا وقال: ما رأيكما؟

رد «محب»: إنَّ معه بندقية!

وقال «عاطف»: وقد يكون معه أشخاص آخرون!

وتوقفوا عن الكلام، وعادوا ينظرون مرة أخرى ناحية المنزل الصغير، ثم قال «تختخ»: الحل الوحيد أن ننتظر حتى يهبط الظلام!

عاطف: هل تقصد أنك ستُحاول إنقاذ «عصام»؟

تختخ: وهل يمكن أن تكون أمامنا مغامرة مثل هذه ونتراجع؟ إن أقرب مركز لنا كما قالت الفتاة الريفية على مسافة بعيدة، ثم إننا لا نَضمن أن يصدقونا ... وإذا عدنا إلى القاهرة وأبلغنا مكتب المفتش «سامي» فقد يكون الوقت قد فات لإنقاذ «عصام»!

عاطف: وهل نظلُّ في أماكننا حتى يهبط الظلام؟

نظر «تختخ» إلى ساعته ثم قال: لقد كاد النهار أن ينتصف، وأنا جائع، فتعالوا نتناول بعض الساندوتشات التي معنا، ونفكر في نفس الوقت فيما نفعل.

وقبل أن يتركوا أماكنهم سمعوا صوت «الهارمونيكا» يَرتفع في الفضاء ... فمن هو العازف؟ هل هي «لوزة»؟ لماذا حضرت؟ ... وكيف؟ هل هو «مجدي»؟! ولكن هذا غير معقول!

لم يكن العازف «لوزة»، أو «مجدي»، وإنما كان «الروبي» الصبي الريفي الصغير الذي علَّمه «مجدي» العزف، وأهداه آلة «الهارمونيكا»! وكان الصبي الصغير يسير مسرعًا بين الحشائش متجهًا إلى المنزل الريفي على مبعدة عشرة أمتار منهم فقط ... أفيُمكنهم الحديث إليه؟ أم أنه قد ينقل خبر وجودهم إلى العصابة؟

منتهى الخطر

همس «تختخ»: اختفيا أنتما وسأُحاول أنا الحديث إليه واستمالته. اختبأ «محب» و«عاطف» تحت أغصان الشجر المتشابِكة، وتقدم «تختخ» من الولد الصغير في بساطة. لكن الولد فوجئ به، فتوقَّف عن العزف ... لم يتردَّد «تختخ» وقال: صباح الخير ... هل أنت «الروبي»؟

دهش الفلاح الصغير عندما سمع اسمه، وقال مسرعًا: صباح النور ... نعم أنا «الروبي» هل هناك خدمة أؤدِّيها لك؟

تختخ: إنني صديق «مجدي» ... لقد أرسلني لك!

الروبي: «مجدي»! ... هل تعرفه؟

تختخ: إنه صديق ويَسكن قريبًا مني ... وقد أعطاني أمارة لك!

الروبي: ما هي الأمارة؟

تختخ: هذه الآلة التي تعزف عليها ... «الهارمونيكا»! أمسك «الروبي» بالهارمونيكا في إعزاز وقال: لقد كانت أجمل هدية ... تلقيتُها في حياتي ... وأنا الآن أعزف عليها بعض الألحان والأغاني.

تختخ: عظيم!

الروبي: وهل هناك خدمة يَطلبها «مجدي»؟

تختخ: إنه يطلب منك أن تُساعدني!

الروبي: أساعدك بعيوني ... ما دمت صديق «مجدي» فأنت صديقي ... لكن ما هي الخدمة المطلوبة؟

تختخ: سأسألك بضعة أسئلة فقط؟

الروبي: بخصوص ماذا؟

تختخ: بخصوص «عصام».

احمرَّ وجه «الروبي» وتلفَّت حوله في خوف وقال: وهل تعرف «عصام» أيضًا؟

تختخ: لا، ولكنه يَسكن المنطقة التي أسكن بها أنا و«مجدي»، ويُهمُّنا جدًّا أن نطمئن عليه!

الروبي: تستطيع أن تطمئن ... لكن!

تختخ: لكن ماذا؟

الروبي: لا شيء!

تختخ: أرجو أن تُخبرني؛ فالمسألة في غاية الأهمية!

الروبي: لا أستطيع أرجوك ... إنني ولدٌ يتيم ولا أهل لي ... وهؤلاء الناس الذين أعمل معهم يُطعمونني!

تختخ: ولكنهم يعملون ضد القانون، وسوف يقعون في يد رجال الشرطة الآن، أو في المستقبل ... وإذا قبض عليك فسوف تُعاقب!

أشار «الروبي» بيده في يأس قائلًا: أرجوك. لا أستطيع!

تختخ: لا تخفِ شيئًا ... إنني أضمن لك الحماية ... أكثر من هذا سوف آخذك معي إلى القاهرة لتعيش مع «مجدي»، وسوف يعلمك الموسيقى أكثر، وتُصبِح موسيقيًّا كبيرًا؛ فقد قال لي إنك موهوب.

صمت «الروبي» لحظات، فلم يتركْه «تختخ» يُفكِّر بل قال: إنها فرصتك لتتخلص من هؤلاء الأشرار وتعيش شريفًا ... وعندما يعلم رجال الشرطة أنك ساعدتَنا يعطونك مكافأة!

الروبي: ومن أنتم؟

تختخ: إننا مجموعة من الأولاد في مثل سنِّك نساعد الشرطة!

الروبي: ولكن ...!

تختخ: لا تخشَ شيئًا ... لقد وعدتك!

الروبي: وماذا تُريدني أن أفعل؟

تختخ: قل لي أولًا ... كيف حال «عصام»؟

الروبي: إنه على ما يرام ... ولكنَّهم أعادوا ربطه بالحبال اليوم!

تختخ: لماذا؟

الروبي: لأنهم يَنوُون نقله من هنا ... فقد عرف الرجال أن والد عصام قد أبلغ الشرطة، وهم يخافون أن تتبعهم الشرطة إلى هنا!

تختخ: وإلى أين ينقلونه؟ ومتى؟

الروبي: في الليل … عند منتصف الليل، وأظن أنهم سينقلونه عبر البحيرة إلى مكان مجهول في الصحراء لا أعرفه.

تختخ: وكم عدد الحراس هنا؟

الروبي: واحد فقط اسمه «فهيم»، ولكن معه بندقية. وهو يجيد التصويب!

تختخ: وهل يظل «فهيم» في الحراسة حتى الليل؟

الروبي: نعم … فقد ذهب بقية الرجال في عملية أخرى في بني سويف ولن يعودوا منها إلا ليلًا!

تختخ: إنها فرصتنا!

الروبي: وماذا تريدني أن أفعل؟

أخرج «تختخ» من جيبه مطواته اللامعة، ثم مدَّ يده بها إلى «الروبي» قائلًا: خذ هذه المطواة، وانتهز فرصة لا يراك فيها «فهيم»، ثم اقطع الحبال التي تربط «عصام»!

الروبي: ولكن قد يدخل «فهيم» المنزل ليرى «عصام»!

تختخ: لا تفعل هذا إلا بعد غروب الشمس … ثم أبلغ «عصام» أن يكون مستعدًّا للهرب.

الروبي: وكيف يهرب؟

تختخ: عندما يهبط المساء … وتُظلم الدنيا، عليك بقطع الحبال، ثم اعزف لنا أغنية «يا حبيبتي يا مصر» هل تعرفها؟

الروبي: نعم …

تختخ: وسأذهب أنا وأصدقائي إلى مكان قريب ونَختبئ … فإذا سمعنا الأغنية، فسنشعل النار في بعض الأعشاب، وعليك أن تَلفِت نظر «فهيم» إليها … وعندما يذهب للاستطلاع اجريا أنت و«عصام» إلى هنا وسنكون في انتظاركما!

الروبي: أخشى …!

تختخ: لا تخشَ شيئًا سيمر كل شيء على ما يرام … وسنأخذك معنا إلى القاهرة كما وعدتك، وستعيش هناك معي أو مع «مجدي» … إنني على استعداد لاستضافتك عندنا.

الروبي: اتفقنا!

ومد الفلاح الصغير يده، فشدَّ عليها «تختخ»، وأحس أنه يصافح رجلًا. سار «الروبي» مبتعدًا في اتجاه المنزل الريفي، في حين عاد «تختخ» إلى «محب» و«عاطف» اللذَين كانا

ينتظران على أحر من الجمر ... فروى لهما «تختخ» ما جرى بينه وبين «الروبي» من حديث.

قال محب: ولكن كيف ننتظر حتى الليل؟

تختخ: ليس أمامنا حل آخر ... وقد تعبنا جميعًا من ركوب الدراجات والمشي، وفي إمكاننا أن نُغمض أعيننا قليلًا!

عاطف: ننام!

تختخ: نعم، ستَنام أنت و«محب» أولًا وسأتولى أنا الحراسة، ثم نتبادل الحراسة ... هيا!

وتمدد «محب» و«عاطف» تحت ظلال الأشجار، في حين جلس «تختخ»، وقد ركز بصره على المنزل الريفي ... وأخذ خياله يسرح فيما يحدث فيه الآن بعد أن دخله «الروبي». وهو يستعجل غروب الشمس ... ويفكر فيما يحدث بعد أن يتمكن «عصام» و«الروبي» من الهرب من المنزل! نسي «تختخ» كل ما حوله ... ولم يَلتفِت إلى الخطر الذي كان يتهددهم في هذه اللحظات ... فمن بين جذور الأشجار الضخمة أطلَّ ثعبان كبير، وأبرز لسانه المتشعب إلى الأمام، ثم انساب ببطء خارجًا من جحره ... أخذ الثعبان يتلوى متقدمًا من الأصدقاء ... كان «محب» قد استغرق في سبات عميق ... وكان «عاطف» بين اليقظة والمنام، أما «تختخ» فقد ركَّز انتباهه كله على المنزل، وكان يرقب «فهيم» الذي جلس أمام المنزل لا يَشتبه في شيء ... وقد أخذ يُنظِّف بندقيتَه ... ويَملؤها بالرصاص متمهلًا ... ثم يُصوِّب إلى شيء مجهول وكأنه يتمرن على إصابة الأهداف ... الثعبان يمضي بين الأعشاب متقدمًا في الظل بدون أن يدري الأصدقاء الثلاثة أنه متجه إليهم رأسًا ... وكانت صفارة المطحن تأتي من بعيد ولا أصوات أخرى ... فقد سكنَت الريح تمامًا ... كأنما استسلمت هي أيضًا لغفوة الظهيرة.

فجأةً أحسَّ «تختخ» بشيء ما يتحرَّك ... صوت ضعيف خافت على بُعد أمتار قليلة منه ... ظنه فأرًا من فئران الغيط فلم يَلتفِت ... ولكن الصوت استمرَّ يتقدَّم ... أدار «تختخ» رأسه ونظر ... لم يصدق عينَيه أولًا ... أغمضهما ثم فتحهما ... وتأكَّد تمامًا أن ثعبانًا ضخمًا ... شرسًا يتقدم من «محب» و«عاطف»، وأحسَّ أن تيارًا كهربائيًّا قد مسه. فهو عاجز عن الحركة! ... وتذكر ما يقال من أن الثعابين تستطيع أن تنوِّم فريستها بالنظر ... فهل هذا صحيح؟ إنه لا يستطيع الحركة فعلًا ... ولكن ما هذه الأوهام؟ ... إنَّ عليه أن يتصرف بسرعة ... لكن ماذا يفعل؟!

التفت حوله، ولحسنِ الحظِّ وجد قريبًا من يده عصًا من جريد النخل قد ملأتها الأشواك ... لكنه لم يهتمَّ ... أمسك بها ... كان يُريد ألا يحدث حركة حتى لا يَسمعه أحد ... وكان يريد ألا يوقظ «محب» و«عاطف» فجأة، فقد يَنزعجان ويتحرَّكان حركة خاطئة تضعهما بين أنياب الثعبان ... وهكذا استدار ببطء ... وكان الثعبان قد دار حول جذع كبير، وأصبح في مواجَهة «تختخ» تقريبًا ... فرفع هذا عصا الجريد فوق رأس الثعبان، ثم أهوى بها بضربة واحدة على رأس الثعبان ... وأحسَّ بألم رهيب يَسري في كفه، فقد انغرست الأشواك فيها، ولكنه تمالك نفسه فلم يتأوَّه ... وأصابت الضربة الثعبان إصابة مباشرة ... فاستلقى يتلوَّى على الأرض ... وقبل أن يتحرَّك حركة أخرى أهوى عليه بضربة ثانية أسكتَت حركته.

لم يستيقظ «محب» ولا «عاطف» برغم الضربتَين ... وكان ما يهم «تختخ» أولًا هو ألا يكون «فهيم» قد سمع صوت الضربتَين، فالتفت إلى حيث يجلس، فوجده ما زال مُنهمكًا في تحريك بندقيته وتصويبها.

قذف بالعصا من يدِه، وأحسَّ بآلام فظيعة من أثر الأشواك، ولكنه أحس بالرضا لأنه تصرف بشجاعة وحكمة ... وأخرج منديله وربط يده، ثم استلقى في مكانه، وقد أحس بالتعب العنيف ... وقبل أن يستسلم لغفوة قصيرة نظر إلى ساعته، وكانت قد أشرفت على الثانية بعد الظهر ... وما زال أمامهم وقت طويل ... فعسى ألا يمرَّ أحدٌ بهذا المكان ... ولكن من المؤكد أن أحدًا لن يمر ... ولا بد أن العصابة تُدرك هذه الحقيقة، لتختار هذا المكان مخبأً لها ... بالإضافة إلى أنهم مختفون تقريبًا تحت أغصان الشجر المتدلية.

هروب في الظلام

عندما استيقظ «تختخ» كانت الشمس تَميل للغروب ... وكان «محب» و«عاطف» قد استيقظا منذ فترة ... وتركاه نائمًا وقد أدهشهما أن رأيا يدَه مربوطة بالمنديل ... فلما استيقظ سألاه عنها فقال: لو نظرتما حولكما لعرفتما السبب. وتلفت الصديقان إلى حيث أشار «تختخ»، شاهدا جثة الثعبان الهامدة ... وروى لهما «تختخ» بسرعة ما جرى فنظر كلٌّ منهما إلى الآخر وكأنه لا يصدق أنه نجا.

نظر «تختخ» إلى حيث يجلس «فهيم» فلم يجده، وقال «محب»: لقد قام منذ قليل وسار مبتعدًا.

تختخ: إنها فرصة «الروبي» في أن يقطع قيود «عصام» ... لعله ينتهزها.

عاطف: ربما كان «فهيم» لم يذهب بعيدًا!

وفعلًا عاد «فهيم» بعد قليل، وهو يحمل بيده بعض عناقيد العنب التي اقتطفها من غيط قريب، وتذكر الأصدقاء أنهم لم يتغدَّوا بعد، فقام «عاطف» وسار محاذرًا إلى حيث تقف صفوف من تكعيبات العنب الذي اشتُهرت الفيوم بزراعته، ومد يده في هدوء، وأخذ يقطف بعض العناقيد ... وعندما عاد اشترك الثلاثة في التهام العنب الطازج الحلو وأحسوا بالشبع.

غربت الشمس تمامًا وبدأ الظلام يغلف المكان ... وشاهد الأصدقاء نارًا تشتعل أمام المنزل الريفي، وعلى ضوء لهيبها المتراقِص كان في إمكانهم مشاهدة شبح «فهيم»، وهو يعد الشاي لنفسه، ثم خرج «الروبي» من المنزل وسمعوه يَعزف ... وأرهفوا الآذان ... كانت أنشودة «يا حبيبتي يا مصر».

قال «تختخ»: لقد قطع «الروبي» قيود «عصام»، وعلينا أن نتحرَّك فورًا!

محب: الخطوة القادمة أن نُشعل النار في بعض الأعشاب.

تختخ: تمامًا!

وأسرع الثلاثة إلى مكان تكاثفَت فيه الأعشاب، ثم أخرج «تختخ» علبة ثقاب وأشعل عودًا ... وثانيًا ... وثالثًا ... حتى بدأت النار تَسري في الأعشاب الجافة ... وبدأ لهيب النار يرتفع.

وأسرع الأصدقاء يَقتربون من المنزل الريفي، وسمعوا «الروبي» و«فهيم» يتبادلان الحديث، ثم وقف «فهيم» وسحب بندقيته وأسرع إلى مكان النار.

همس «تختخ»: هيا بسرعة إلى المنزل!

وأسرع الثلاثة جريًا إلى المنزل ... كان «الروبي» يقف أمام الباب ويبدو في أشد حالات الحيرة والاضطراب فقال «تختخ»: أين «عصام»؟

هز «الروبي» رأسه في يأس قائلًا: إنه في الداخل!

تختخ: ولماذا لم يخرج؟

الروبي: إنه مُتعَب جدًّا من أثر القيود، ولا يستطيع حتى أن يقف، إنه في غاية الضعف والهزال!

أحس «تختخ» كأنه وقع في بئر عميقة ... فهذا الموقف لم يكن في حسبانه ... والدقائق تمضي سريعة، وسوف يعود «فهيم» بعد لحظات، وفي إمكانه بالبندقية أن يسيطر على الموقف.

لم يتردد «تختخ» سوى لحظات، ثم قال للروبي: تعال معي ... تعال ندخل ... ثم التفت إلى «محب» و«عاطف» وقال: راقبا عودة «فهيم»!

أسرع الاثنان إلى الداخل ... كان المنزل الريفي مظلمًا لا تضيئُه سوى لمبة بالفتيل «ساروخ» مما يستخدمه الفلاحون. وعلى ضوئها شاهد «تختخ» «عصام» وهو مُلقًى على الأرض لا يستطيع حراكًا ... فصاح فيه: قُم بسرعة ... إنها الفرصة الوحيدة لإنقاذك!

قال «عصام»: إنني مريض ... ومتعب ولا أستطيع الوقوف!

تقدم «تختخ» منه، ثم انحنى وحمله بين ذراعيه، ووضعه على كتفه، وأسرع خارجًا و«الروبي» خلفه، وكان «محب» و«عاطف» يقفان بعيدًا عن النار حتى لا يراهما «فهيم» إذا عاد. فقال «تختخ»: هيا بنا!

محب: إلى أين؟ إنك لن تستطيع الجري به!

تختخ: هيا وبعدها نفكر فيما نفعل!

أسرع الأربعة يسيرون في الظلام مُبتعِدين عن المنزل. ولم يكادوا يبتعدون سوى أمتار قليلة حتى سمعوا «فهيم» وهو يَصيح: «روبي» أين أنت؟ ... ثم سمعوا صوت أقدامه وهو يدخل المنزل ثم يخرج ... وسمعوه يجري في اتجاههم وهو يُضيء بطارية كهربائية في يده.

تأكد «تختخ» أنه سيعثر عليهم سريعًا ... فأسرع إلى أقرب غيط للعنب ... حيث كانت الأشجار تلتف بكثافة ... ثم أنزل حملَه، ووقفوا جميعًا في صمت ... وكان ضوء البطارية يبدد الظلام في خطوط رفيعة قاطعة ... وأدرك «تختخ» أنهم سيقعون بين لحظة وأخرى ... وهكذا قرَّر أن يُهاجم ...

همس في أذن الأصدقاء: سنقوم بالهجوم ... سيأتي معي «محب» وسنَصعَد فوق تكعيبة عنب ... وعليكم بالانتظار وسوف نقفز عليه، فإذا وجدتُم المعركة ستَنقلِب في غير صالحنا فتدخلوا!

انتهى «تختخ» من جملته ثم أسرع كالفهد هو و«محب» وقفزا فوق تكعيبة عنب ... وربضا في انتظار «فهيم» الذي كان يدور حولهم ومصباحه في يده وهو يردد بين لحظة وأخرى: «روبي ... روبي» ... أين أنت؟

أخذ «فهيم» يقترب حتى أصبح تحت «تختخ» و«محب» تمامًا ... وفجأةً صاح «تختخ» صيحة مرعبة وألقى بنفسه على «فهيم» وتبعه «محب» ... كانت مفاجأة كاملة لـ «فهيم» الذي سقط على الأرض وفوقه «تختخ»، وأسرع «محب» يَجذِب البندقية ... وأخذ «تختخ» و«فهيم» يتأرجحان على الأرض، وكلٌّ منهما يريد أن يتمكَّن من صاحبه ... واقترب «عاطف» ... و«الروبي» و«عصام»، واستطاع «عاطف» أن يعثر على البطارية ويضيئها ... وألقى بضوئها على المتصارعين ... ولم يتردَّد «محب» فقد اقترب منهما، وانتهز فرصة ظهور رأس «فهيم» ناحيته وأهوى عليها بضربة قوية من البندقية ... وتخاذلت يدا «فهيم» ثم سقط على الأرض!

قال «تختخ»: ضربة موفَّقة ... سيظل نائمًا بضع ساعات قبل أن يستيقظ ... هيا بنا سريعًا، فنحن لا نعلم متى تعود العصابة!

ومدَّ «تختخ» يديه ليحمل «عصام» ولكن «عصام» قال: أحاول المشي، فأنا الآن أحسن حالًا!

وبدأ الخمسة يمشون ... كان الظلام شاملًا، فلم يكن هناك قمر على الإطلاق، وكانت وجهتهم إلى حيث أخفوا الدراجات ... وبعد فترة وصلوا إلى مكانها ... وأسرع الأصدقاء الثلاثة يخرجون الدراجات ... وأعدَّ كلٌّ منهم «الدينمو» لإضاءة الكشافات ... ثم أركب «تختخ» «عصام» أمامه ... وأركب «محب» «الروبي» أمامه، ثم انطلقوا بأقصى سرعة ...

كان الضوء كافيًا لإنارة الطريق أمامهم ... وكانت إشارات «الروبي» لها أعظم الفائدة في تجنُّب المزالق والمطبات ... وسرعان ما وصلوا إلى الشارع الرئيسي المرصوف حيث كانت المطبات الثلاثة.

وقفوا يَرتاحون قليلًا، وقال «محب»: ما هي الخطوة التالية يا «تختخ»؟

قال «تختخ»: سنحاول الوصول سريعًا إلى بداية الطريق الصحراوي ... ثم نستوقف عربة ونرجو من فيها أخذنا معهم إلى القاهرة ... إنَّ سيارات الفاكهة لا تتوقَّف عن السير في موسم العنب.

سار الأصدقاء فترة وقد أحسُّوا بالتعب ... وبالانتعاش أيضًا؛ لأن مغامرتهم قد انتهت بهذا النجاح غير المتوقَّع ... كانوا يسيرون بجوار كورنيش البحيرة بسرعة معتدلة ... وفجأة وقع ما لم يكن في الحسبان ... فقد ظهر ضوء سيارة قادمة مسرعة، وسقط الضوء عليهم فأغشى أبصارهم ... وقبل أن يتبينوا حقيقة ما يحدث ... اتجهت السيارة إليهم بسرعة خارقة ... وبدا واضحًا أنها تريد أن تصدمهم جميعًا ... تذكر «تختخ» رئيس العصابة ... وأنه سوف يأتي الليلة لنقل «عصام»، فأدرك الحقيقة في لمح البصر، وصاح بالأصدقاء: ألقوا بأنفسكم في البحيرة!

وبسرعة هائلة ... وفي الوقت المناسب قفز الأصدقاء جميعًا من الدراجات إلى سور الكورنيش، ثم ألقوا بأنفسهم في المياه ... وسمعوا صوت السيارة وهي تصطدم بالدراجات الملقاة على الأرض، ثم تدور حول نفسها لفرط السرعة ... وتصدم بالرصيف، وتقف ومكنتها تدور ... وأضواؤها الكشافة تنير المنطقة ... ونفيرها المُرتفِع يمزق هدوء الليل.

صاح «تختخ» بالأصدقاء: ابقوا في المياه ... واتجهوا بسرعة إلى ناحية الأوبرج.

لفَتَ صوت الصدمة ... ونفير السيارة المرتفع انتباه سكان المنطقة فخرجوا، وبدءوا يتجمعون حول السيارة ... ولكن الأصدقاء لم يهتموا بما حدث ... كل ما كان يهمهم أن يتجهوا بسرعة ناحية الأوبرج.

استطاع زعيم العصابة ومساعدُه الخروج من السيارة قبل أن يتجمع الفلاحون ... وأسرع الزعيم ومساعده يقفزان السور الفاصل بين البحيرة والطريق ... وأخذا يحدقان في الظلام، ويرسلان ضوء بطارية يدوية على سطح المياه ... ولكن الأصدقاء كانوا يَغطسُون كلما اتجهت إليهم أنوار البطارية ثم يصعدون إلى السطح ويُواصِلُون السباحة ناحية الأوبرج.

كان ما يشغل «تختخ» هو حالة «عصام» فكان بجواره يساعده، ولكن «عصام» قال: لقد أنعشتني المياه تمامًا ... وأستطيع الآن أن أعتمد على نفسي.

ظل الأصدقاء يعومون فترة حتى اقتربوا من هدفهم ...

وقال «تختخ»: انتظروا في الماء ولا تخرجوا حتى أستطلع ما يحدث.

صعد «تختخ» إلى الكورنيش ونظر حوله ... كان كل شيئًا هادئًا ... ولا شيء هناك سوى ضوء السيارات المسافرة إلى القاهرة ... فعاد إلى الأصدقاء مسرعًا وطلب منهم الصعود جميعًا

وبرغم أنهم ابتلوا من المياه فلم يشعروا بأي برد ... فقد كانت ليلة حارة ... وساروا والمياه تتساقط منهم حتى وصلوا إلى بداية الطريق الصحراوي، وقد بلغ منهم الإعياء مداه ... وسرعان ما استطاعوا إقناع سائق سيارة نقل بأخذهم فوق أقفاص العنب ... وانطلقت السيارة بهم في الليل تشقُّ طريقها إلى القاهرة.

شهد صباح اليوم التالي أشياء كثيرة.

فعندما عاد «تختخ» إلى منزله ومعه «الروبي» اتَّصل بالمفتش «سامي» تليفونيًّا، وأخطره بكل ما حدث ... واتصل المفتِّش بشرطة الفيوم فألقت القبض على أفراد العصابة وهم يستعدون للهرب إلى بني سويف ... ثم حضر المفتش «سامي» إلى منزل «تختخ» في الصباح ليسمع كل شيء ... وتجمع بقية الأصدقاء وحضر «عصام» ووالده ... وعندما علم والد «مجدي» بما حدث حضر هو و«مجدي» أيضًا ... وقد سعد «مجدي» كثيرًا بلقاء «الروبي»، وجلس الجميع يستمعُون بكل اهتمام وشوق إلى قصة الساعات الرهيبة التي مرت بالأصدقاء في الفيوم.

وقال والد «مجدي»: إنني فخور بكم جميعًا ... وأعلن أسفي؛ لأنني لم أتعاون مع رجال الشرطة منذ البداية ... واسمحوا لي أن ألفت نظركم إلى شيء.

والتفت إليه الجميع فقال: أولًا أعلن أنني سأربِّي الفلاح الصغير الشجاع «الروبي» وكأنه شقيق لـ «مجدي» ... وثانيًا ... لقد فقد المغامرون الثلاثة دراجاتهم ... وسأهديهم بدلها ثلاث دراجات جديدة.

وفي وسط هذا الجو السعيد ... انطلق صوت «هارمونيكا» كانت تعزفها «لوزة»، فصاح الجميع ... نُريد «مجدي» ... نُريد «مجدي» ...!

وأمسك «مجدي» بـ «الهارمونيكا» ... وعزف عليها لحنًا راقصًا جميلًا ... وكان يحسُّ بالسعادة، فعزف عزفًا ساحرًا لم يعزفه من قبل!


هنداوي